حقُّ اليتيمِ وخطورةُ الشائعاتِ

جمعٌ وترتيبٌ

من خُطبِ ومُحاضراتِ فضيلةِ الشيخِ

أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ سعيدِ رسلان

حفظه اللهُ تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

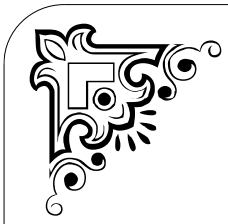

الْإِحْسَانُ
هُوَ أَسَاسُ الْعَلَاقَاتِ فِي الْإِسْلَامِ

فَقَدْ أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْإِحْسَانِ فِي عَلَاقَةِ الْمُسْلِمِ بِأُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أَيْ وَبِذِي الْقُرْبَىٰ إِحْسَانًا، أَحْسِنُوا إِلَىٰ الْوَالِدَيْنِ وَإِلَىٰ ذِي الْقُرْبَىٰ، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

فَأَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالْإِحْسَانِ؛ إِحْسَانِ الْمَرْءِ فِي أُسْرَتِهِ، وَإِحْسَانِ الْمَرْءِ فِي مُجْتَمَعِهِ.

وَجَاءَ الْأَمْرُ فِي الْقُرْآنِ بِإِحْسَانِ الْفِعَالِ وَالْمَقَالِ، بِإِحْسَانِ الْأَفْعَالِ وَإِحْسَانِ الْأَقْوَالِ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَصْحَابُ التِّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ/ ٣٠-٩-٢٠١١م.

فَكَمَا أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْإِحْسَانِ فِي الْأَفْعَالِ، أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ فِي الْأَقْوَالِ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَصْحَابُ التَّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ/ ٣٠-٩-٢٠١١م.

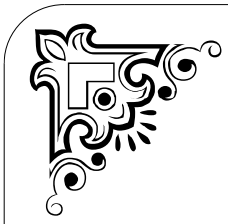

الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَيْتَامِ وَرِعَايَتُهُمْ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَطَرِيقَتِهِمُ: الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ.

وَالْيَتَامَىٰ: جَمْعُ يَتِيمٍ، وَهُوَ لُغَةً: الْمُنْفَرِدُ.

وَشَرْعًا: مَنْ مَاتَ أَبُوهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ، فَالْيُتْمُ لَا يَكُونُ بَعْدَ الِاحْتِلَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَصْفٌ لِمَنْ لَمْ يَبْلُغِ الْحُلُمَ مِمَّنْ مَاتَ أَبُوهُ.

وَأَمَّا مَنْ مَاتَتْ أُمُّهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ، فَهُوَ لَطِيمٌ.

فَمَنْ مَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ، فَهُوَ عَدِيمٌ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَأْمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ.

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ، وَهُوَ: رِعَايَةُ أَحْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَالشَّفَقَةُ بِهِمْ، وَكَذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَثَّ عَلَيْهِ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ.

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْيَتِيمَ قَدِ انْكَسَرَ قَلْبُهُ بِفَقْدِ أَبِيهِ، فَهُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ الْعِنَايَةِ وَالرِّفْقِ.

وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ يَكُونُ بِحَسَبِ الْحَالِ(*)؛ فَقَدْ يَكُونُ الْيَتِيمُ غَنِيًّا لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَالٍ، وَلَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَىٰ التَّعَقُّلِ؛ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ بِفَقْدِ رِقَابَةِ الْأَبِ عُرْضَةً لِإِغْوَاءِ أَهْلِ الشَّرِّ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ بِهِ الْمَرْءُ ذَلِكَ الْيَتِيمَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِحْسَانِ فِي أَخْلَاقِهِ وَدِينِهِ وَتَعْلِيمِهِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَفِّهِ عَنِ الشُّرُورِ وَمُخَالَطَةِ أَهْلِ السُّوءِ.(*/٢).

وَكَانُوا قَدِيمًا إِذَا فَقَدَ الْيَتِيمُ أَبَاهُ، فَإِنَّهُ لَا يَفْقِدُ مِنْهُ إِلَّا شَخْصَهُ، يَعْنِي إِذَا مَاتَ الْعَائِلُ، فَإِنَّ الْأُسْرَةَ لَا تَفْقِدُ إِلَّا شَخْصَهُ، وَأَمَّا الْمَصَالِحُ كُلُّهَا فَتُقْضَىٰ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا عَلَىٰ حَسَبِ مَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ.

وَالْمَسَاكِينُ: هُمُ الْفُقَرَاءُ، وَهُوَ هُنَا شَامِلٌ لِلْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ.

فَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَجَعَلَ لَهُمْ حُقُوقًا خَاصَّةً فِي الْفَيْءِ وَغَيْرِهِ.

وَوَجْهُ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ أَنَّ الْفَقْرَ أَسْكَنَهُمْ، وَأَضْعَفَهُمْ، وَكَسَرَ قُلُوبَهُمْ، فَكَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ أَنْ نُحْسِنَ إِلَيْهِمْ؛ جَبْرًا لِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ النَّقْصِ وَالِانْكِسَارِ.(*/٣).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» - الْمُحَاضَرَة ٦٨ - الِاثْنَيْنِ ٩ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٢٨هـ/ ١٩-١١-٢٠٠٧م

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ عَقِيدَةِ السَّلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ» - الثُّلَاثَاءُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣هـ/ ١٨-٩-٢٠١٢م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» - الْمُحَاضَرَة ٦٨ - الِاثْنَيْنِ ٩ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٢٨هـ/ ١٩-١١-٢٠٠٧م.

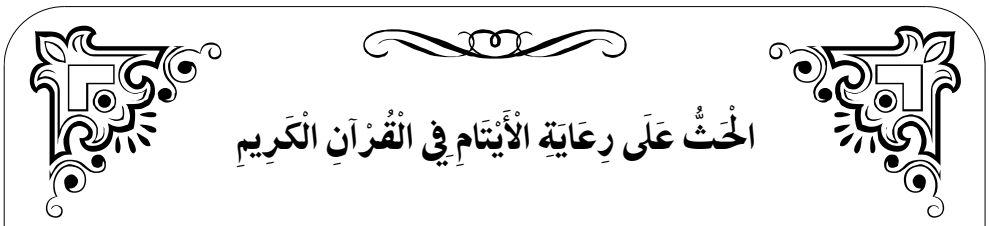

الْحَثُّ عَلَى رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لَقَدْ حَثَّ اللهُ عَلَى حُسْنِ رِعَايَةِ الْيَتِيمِ، وَإِحْسَانِ تَدْبِيرِ مَالِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فِيهَا الْوِلَايَةُ عَلَى الْيَتِيمِ، وَإِحْسَانُ تَدْبِيرِ مَالِهِ.

وَقَدْ أَمَرَ بِاخْتِبَارِهِ عِنْدَ بُلُوغِهِ، فَإِذَا عَلِمَ رُشْدَهُ -وَهُوَ حِفْظُ مَالِهِ وَمَعْرِفَتُهُ لِلتَّصَرُّفِ وَالتَّصْرِيفِ- دُفِعَ لَهُ مَالُهُ.(*).

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ صَاحِبِ مُوسَى عليه السلام: وَأَمَّا الْجِدَارُ الَّذِي عَدَّلْتُ مَيْلَهُ حَتَّىٰ صَارَ مُسْتَوِيًا؛ فَهُوَ مِلْكُ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ تَحْتَ الْجِدَارِ مَالٌ مَدْفُونٌ مُخَبَّأٌ لَهُمَا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحُ رِسَالَةِ «فَتْحِ الرَّحِيمِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ فِي عِلْمِ الْعَقَائِدِ وَالتَّوْحِيدِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَحْكَامِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنَ الْقُرْآنِ» لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ السَّعْدِيِّ رحمه الله.

وَكَانَ أَبُوهُمَا رَجُلًا صَالِحًا مِنَ الْأَتْقِيَاءِ، فَأَرَادَ رَبُّكَ بِسَبَبِ صَلَاحِ وَالِدِهِمَا أَنْ يَبْلُغَا قُوَّتَهُمَا وَكَمَالَ عَقْلِهِمَا، وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا إِذَا بَلَغَا وَعَقَلَا وَقَوِيَا؛ رَحْمَةً وَعَطَاءً مِنْ رَبِّكَ لَهُمَا.(*).

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

وَلْيَخَفِ اللهَ الَّذِينَ لَوْ مَاتُوا وَتَرَكُوا خَلْفَهُمْ أَبْنَاءً صِغَارًا ضِعَافًا؛ خَافُوا عَلَيْهِمُ الظُّلْمَ وَالضَّيَاعَ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَلْيَتَّقُوا اللهَ فِيمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْيَتَامَىٰ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَحِفْظِ أَمْوَالِهِمْ، وَفِعْلُ مَا يُحَبُّ أَنْ يُفْعَلَ بِأَوْلَادِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ.

وَلْيَقُولُوا قَوْلًا عَدْلًا وَصَوَابًا، يُصِيبُ مَوْقِعَهُ الْمُلَائِمَ لَهُ، فَيُكَلِّمُوا الْيَتَامَىٰ كَمَا يُكَلِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ، وَلَا يُؤْذُوهُمْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الكهف: ٨٢].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ٩].

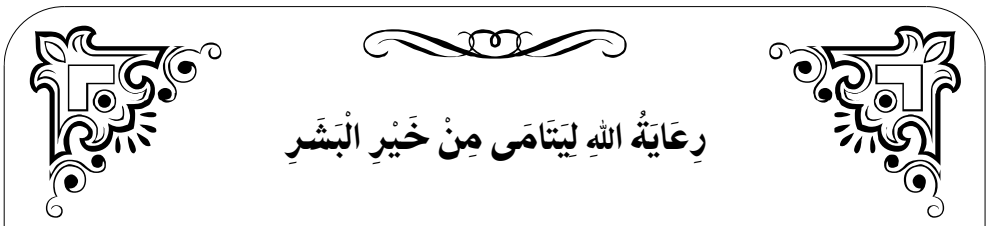

رِعَايَةُ اللهِ لِيَتَامَى مِنْ خَيْرِ الْبَشَرِ

لَقَدِ ابْتَلَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **أُنَاسًا مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ؛ فَجَعَلَهُمْ أَيْتَامًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَآوَاهُمْ** جَلَّ وَعَلَا، **وَمِنْهُمْ: نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ** ﷺ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ ﷺ: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ**﴾ [الضحى: ٦].

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا صَغِيرًا فَقِيرًا حِينَ مَاتَ أَبَوَاكَ وَلَمْ يُخَلِّفَا لَكَ مَالًا وَلَا مَأْوًى، فَجَعَلَ لَكَ مَأْوًى تَأْوِي إِلَيْهِ، وَضَمَّكَ إِلَى عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى أَحْسَنَ تَرْبِيَتَكَ وَكَفَاكَ الْمَئُونَةَ.(*).

وَتَقَبَّلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **مَرْيَمَ** عَلَيْهَا السَّلَامُ **بِالْقَبُولِ الْحَسَنِ، وَضَمَّهَا إِلَى زَكَرِيَّا** عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ **مِنْ أَجْلِ تَرْبِيَتِهَا وَرِعَايَتِهَا؛** فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: ٣٧].

فَتَقَبَّلَ اللهُ تَعَالَى مَرْيَمَ قَبُولًا حَسَنًا، وَأَجْرَى الْأَسْبَابَ الْمَعْرُوفَةَ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِقَبُولِهَا فِي خِدْمَةِ الْهَيْكَلِ، وَأَنْبَتَهَا رَبُّهَا نَبَاتًا حَسَنًا، فَنَبَتَتْ نَبَاتًا حَسَنًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «تَفْسِيرُ جُزْءِ عَمَّ - سُورَةُ الضُّحَى» - الْأَحَدُ ١١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨هـ/ ٢٣-٩-٢٠٠٧م.

وَضَمَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ زَكَرِيَّا، وَجَعَلَهُ كَافِلًا لَهَا، وَمَسْئُولًا عَنْ رِعَايَتِهَا وَتَرْبِيَتِهَا، وَضَامِنًا لِمَصَالِحِهَا، بِالْقُرْعَةِ الَّتِي أَجْرَوْهَا حِينَمَا اخْتَلَفُوا فِيمَنْ يَكْفُلُهَا.

وَأَسْكَنَهَا فِي مَكَانِ عِبَادَتِهِ، وَكَانَ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا مَكَانَ عِبَادَتِهَا؛ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا هَنِيئًا مُعَدًّا، وَفَاكِهَةً فِي غَيْرِ وَقْتِهَا، قَالَ زَكَرِيَّا عليه السلام: يَا مَرْيَمُ! مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا الرِّزْقُ الطَّيِّبُ؟

قَالَتْ مَرْيَمُ: هُوَ رِزْقٌ مِنْ عِنْدَ اللهِ، لَيْسَ مِنْ عِنْدِ أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ رِزْقًا كَثِيرًا بِغَيْرِ عَدَدٍ وَلَا إِحْصَاءٍ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [آل عمران: ٣٧].

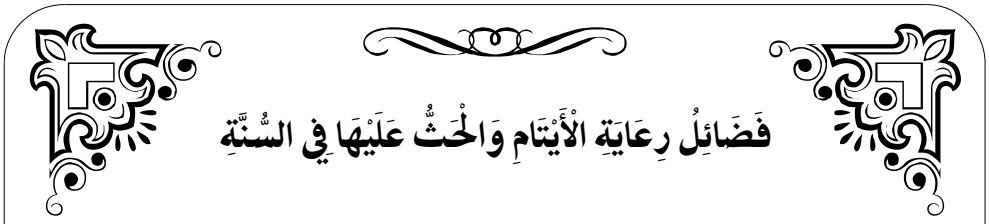

فَضَائِلُ رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ وَالْحَثُّ عَلَيْهَا فِي السُّنَّةِ

*** مِنْ فَضَائِلِ رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ: أَنَّ كَافِلَهُمْ وَالسَّاعِي عَلَيْهِمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعْلَى الْجَنَّاتِ:**

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ فِي السَّعْيِ عَلَىٰ الْيَتِيمِ أَجْرًا، وَفِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ أَجْرًا، لَاسِيَّمَا مَنْ وُجِدَ يَتِيمًا فِي بَيْتِهِ، سَوَاءٌ لِقَرَابَتِهِ أَوْ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَعَلَّمَهُ وَأَدَّبَهُ حَتَّىٰ بَلَغَ الْحِنْثَ، فَكَمْ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ!

وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**»، وَجَمَعَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ(١)؛ يَعْنِي أَنَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ، أَنْ يُحْشَرَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ بِسَبَبِ عَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمَهُ فِي الدُّنْيَا.(*).

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢٢٨٧، رقم (٢٩٨٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ**»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا لَهُ (ص٧٠٢-٧٠٣).

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»(١)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا**»، وَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ.(*).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «حُقَّ عَلَىٰ مَنْ سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ لِيَكُونَ رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ وَلَا مَنْزِلَةَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ».

فَكَفَالَةُ الْيَتِيمِ جَزَاؤُهَا عَظِيمٌ جِدًّا، فَلْيَحْرِصِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ أَنْ يُصِيبَ مِنْ ذَلِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ فِي الْآخِرَةِ.(*/٢).

*** السَّاعِي عَلَى الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ -وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأَيْتَامُ- كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ:**

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسَاكِينِ كَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٣).

---

(١) «**صحيح البخاري**»: ٩/ ٤٣٩، رقم (٥٣٠١)، وفي: ١٠/ ٤٣٦، رقم (٦٠٠٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا مِنْ أَبَوَيْهِ (ص٧١٠).

(٢) شرح «**صحيح البخاري**» لابن بطال: ٩/ ٢١٧، ط٢، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، وعنه نقل ابن حجر في «**فتح الباري**»: ١٠/ ٤٣٦، ط١، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٨٠هـ).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا مِنْ أَبَوَيْهِ (ص٧٠٦).

(٣) «**الأدب المفرد**» للبخاري: ص٤٤، رقم (١٣١)، ط١، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٧٥هـ)، وأَخْرَجَهُ أيضا فِي «**الصَّحِيحِ**»: ٩/ ٤٩٧، رقم (٥٣٥٣)، وفي: ١٠/ ٤٣٧، رقم (٦٠٠٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: ٤/ ٢٢٨٦، رقم (٢٩٨٢).

«**السَّاعِي**»: الَّذِي يَذْهَبُ وَيَجِيءُ فِي تَحْصِيلِ مَا يَنْفَعُ الْأَرْمَلَةَ وَالْمِسْكِينَ.

«**الْأَرْمَلَةُ**»: الَّتِيْ مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا، سُمِّيَتْ أَرْمَلَةً؛ لِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْإِرْمَالِ، وَالْإِرْمَالُ: الْفَقْرُ وَذَهَابُ الزَّادِ؛ لِفَقْدِ الزَّوْجِ، يُقَالُ: أَرْمَلَ الرَّجُلُ إِذَا فَنِيَ زَادُهُ.

«**الْمَسَاكِينُ**»: جَمْعُ مِسْكِينٍ: وَهُوَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَهُ بَعْضُ شَيْءٍ.

مِنْ مَزَايَا دِينِ الْإِسْلَامِ كَثْرَةُ الْأُجُورِ عَلَىٰ الْعَمَلِ الْقَلِيلِ، فَهَذَا السَّاعِي عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ؛ أَيِ الْمَرْأَةِ الَّتِي بِجَانِبِهِ، سَوَاءٌ فَقَدَتِ الزَّوْجَ، أَمْ أَنَّهَا فِي جَانِبِ وَلِيِّ أَمْرِهَا، وَهُوَ يَسْعَىٰ عَلَيْهَا لِيُؤَمِّنَ حَاجَاتِهَا الضَّرُورِيَّةَ، مُحْتَسِبًا الْأَجْرَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ.

وَالسَّاعِي عَلَىٰ الْمِسْكِينِ، سَوَاءٌ مِنْ قَرَابَتِهِ، أَوْ مِنْ غَيْرِ قَرَابَتِهِ، يَسْعَىٰ لِيُؤَمِّنَ قُوتَهُ الضَّرُورِيَّ، وَيَكْفِيهِ مُؤْنَةَ الْعَيْشِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَسْكَنٍ بِقَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ.

وَكَذَلِكَ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأَيْتَامُ، وَهُمْ أَحْوَجُ الْأَصْنَافِ إِلَىٰ الْعِنَايَةِ بِهِمْ، وَالْيَتِيمُ هُوَ مَنْ فَقَدَ أَبَاهُ مِنْ بَنِي آدَمَ؛ لِأَنَّ الْأَبَ هُوَ الْمُتَكَفِّلُ بِالْإِنْفَاقِ عَلَىٰ الْوَلَدِ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَىٰ، وَهُوَ الْمُرَبِّي التَّرْبِيَةَ الدِّينِيَّةَ، فَيَكُونُ أَحْرَصَ عَلَىٰ وَلَدِهِ مِنْ حِرْصِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ.

فَالسَّاعِي عَلَيْهِ -عَلَىٰ الْيَتِيمِ- كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَفَضْلُ الْجِهَادِ مَعْلُومٌ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، بِأَنَّ اللهَ ﷻ يُبَوِّئُ الْمُجَاهِدَ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ فِي الْجَنَّةِ،

وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»(١).

فَالسَّاعِي عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ، كَأَنَّهُ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، بَلْ وَزِيَادَةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، صَائِمِ النَّهَارِ تَنَفُّلًا وَتَطَوُّعًا، وَالْقَائِمِ بِاللَّيْلِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ تَطَوُّعًا، وَكَمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ!

فَفِي الصَّوْمِ قَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَاعَدَ اللهُ النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**»(٢).

وَفِي قِيَامِ اللَّيْلِ يُبَيِّنُ اللهُ ﷻ بِأَنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ(٣)، وَأَنَّهُ مِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، أَنَّهُمْ يَقُومُونَ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيَسَّرَ لَهُمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ.

---

(١) جزء من حديث، أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ١١، رقم (٢٧٩٠)، وفي: ١٣/ ٤٠٤، رقم (٧٤٢٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وطرفه: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**»،...الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٤٧، رقم (٢٨٤٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٨٠٨، رقم (١١٥٣)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

(٣) أخرج الترمذي في «**الجامع**»: ٥/ ٥٥٣، رقم (٣٥٤٩)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ**،...» الحديث.
والحديث حسنه بشواهده الألباني في «**إرواء الغليل**»: ٢/ ١٩٩، رقم (٤٥٢)، وانظر: «**العلل**» لابن أبي حاتم: ٢/ ٢٤١، مسألة (٣٤٦).

وَأَحْسَنُ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنْهُ؛ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(١)، فَهَذَا الْوَقْتُ مِنْ أَغْلَىٰ سَاعَاتِ طَلَبِ الْمُؤْمِنِ رَبَّهُ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلْيَكُنْ عَلَىٰ ثِقَةٍ أَنَّهُ يُجَابُ فِي طَلَبِهِ هَذَا.

وَالْإِجَابَةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُعَجَّلَةً، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ اللهُ ﷻ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ وَالْمَكْرُوهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ وَالطَّلَبِ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا اللهُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَمَا يَكُونُ النَّاسُ أَحْوَجَ شَيْءٍ إِلَىٰ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَرْفَعُ دَرَجَاتِهِمْ وَتَحُطُّ خَطَايَاهُمْ.

فَالدُّعَاءُ وَالطَّلَبُ مِنَ اللهِ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا يَضِيعُ صَاحِبُهُ أَبَدًا، بَلْ يُحَقِّقُ اللهُ لَهُ إِحْدَىٰ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ طَلَبَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ وَالْمَكْرُوهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا اللهُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُجَازِيهِ بِهَا بِرَفْعِ دَرَجَاتِهِ وَتَكْفِيرِ خَطَايَاهُ.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ: بَيَانُ أَنَّ السَّعْيَ عَلَىٰ الْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَسَاكِينِ، وَالْإِنْفَاقَ عَلَيْهِمْ، وَالْقِيَامَ عَلَىٰ أُمُورِهِمْ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٢٩، رقم (١١٤٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٥٢١، رقم (٧٥٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وفي رواية لمسلم: ١/ ٥٢٢، بلفظ: «**إِذَا مَضَىٰ شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**».

وَكَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ.

وَفِيهِ: أَنَّ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ يَتَحَصَّلُ الْمَرْءُ مِنْهُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَلَّا يَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئا.

وَيَنْبَغِي عَلَيهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَوْصِيلِ الْخَيْرَاتِ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَيْتَامِ وَالْمُعْوِزِينَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ وُجُوهِ الْبِرِّ وَالْقُرَبِ وَالطَّاعَاتِ، حَتَّىٰ جَعَلَهُ ﷺ كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَصِيَامِ النَّهَارِ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَاب: فَضْلُ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا (ص٦٩٤-٦٩٩).

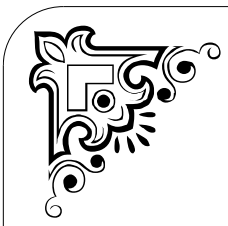

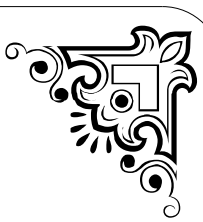

ضَوَابِطُ تَرْبِيَةِ الْيَتِيمِ وَتَأْدِيبِهِ

* **عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ**: فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَىٰ قَالَ: قَالَ دَاوُدُ: «**كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ، مَا أَقْبَحَ الْفَقْرَ بَعْدَ الْغِنَي، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَىٰ. وَإِذَا وَعَدْتَ صَاحِبَكَ فَأَنْجِزْ لَهُ مَا وَعَدْتَهُ، فَإِن لَا تَفْعَلْ يُوَرَّثْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ صَاحِبٍ إِنْ ذَكَرْتَ لَمْ يُعِنْكَ وَإِنْ نَسِيتَ لَمْ يُذَكِّرْكَ**»(١). وَهَذَا الْأَثَرُ صَحِيحٌ.

«**وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ...**» الْحَدِيثَ.

---

(١) «**الأدب المفرد**»: ص٤٦، رقم (١٣٨)، وأخرجه أيضا: عبد الرزاق في «**جامع معمر**»: ١١/ ٣٠٠، رقم (٢٠٥٩٣)، وأبو عبيد في «**الخطب والمواعظ**»: ص١٣٩ و١٤٠، رقم (٥٣ و٥٤)، وابن أبي الدنيا في «**إصلاح المال**»: ص١٢٢، رقم (٤٤٦)، وفي «**العيال**»: ٢/ ٨٢٠، رقم (٦١٩)، والخرائطي في «**مكارم الأخلاق**»: ص٢١٨، رقم (٦٦٥)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: ١٣/ ٣٩٣.

والخبر صحح إسناده الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: ص٧٥، رقم (١٠٣)، وروي عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا نحوه ولا يصح.

هَذِهِ مِنَ الْحِكَمِ الْبَلِيغَةِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَأَمَّلَ فِيهَا مَلِيًّا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا دَائِمًا شِعَارَهُ وَرَائِدَهُ.

«**وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ**»: فَإِنَّهُ لَا يُجْتَنَىٰ مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبُ.

كَمَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَحْصُدُ الثَّمَرَةَ، قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، خَيْرًا أَوْ شَرًّا، وَهَذِهِ وَصِيَّةٌ عَامَّةٌ بِكَفَالَةِ الْيَتِيمِ، وَبِغَيْرِهَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، فَالْجَزَاءُ عِنْدَ اللهِ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، مَنْ بَذَرَ الْخَيْرَ حَصَدَ خَيْرًا جَزَاءً حَسَنًا مِنَ اللهِ، وَمَنْ بَذَرَ الشَّرَّ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ- مِنْ كُفْرٍ وَشِرْكٍ وَبِدْعَةٍ وَكَبِيرَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ، فَإِنَّهُ لَا يَحْصُدُ إِلَّا النَّارَ وَبِئْسَ الْقَرَارُ، وَغَضَبَ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ.(*).

* **عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُعَامِلَ الْيَتِيمَ وَيَرْعَاهُ كَمَا يَرْعَى وَلَدَهُ، فَعَنْ أَسْمَاءِ بْنِ عُبَيْدٍ**(١)، **قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ سِيرِينَ**: عِنْدِي يَتِيمٌ.

قَالَ: «اصْنَعْ بِهِ مَا تَصْنَعُ بِوَلَدِكَ، اضْرِبْهُ مَا تَضْرِبُ وَلَدَكَ»(٢). وَالْحَدِيثُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ (ص٧١٧-٧١٩).

(١) هو: أَسْمَاءُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مُخَارِقٍ الضَّبْعِيُّ، أبو المفضل البَصْرِيّ، وَكَانَ ثِقَةً، رَوَىٰ عَن عامر الشعبي، ومحمد بْن سيرين، ورَوَىٰ عَنه: جرير بْن حازم وابنه جويرية بْن أسماء، مات سنة إحدىٰ وأربعين ومائة.

انْظُرِ ترجمته: «**التَّارِيخَ الْكَبِيرَ**»: ٢/ ٥٥، ترجمة (١٦٦٥)، وَ«**الْجَرْحَ وَالتَّعْدِيلَ**»: ٢/ ٣٢٥، ترجمة (١٢٤٤)، وَ«**تَهْذِيبَ الْكَمَالِ**»: ٢/ ٥٣٦، ترجمة (٤١٠).

(٢) «**الأدب المفرد**»: ص٤٦، رقم (١٤٠)، وصحح إسناده الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: ص٧٦، رقم (١٠٤).

إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

«**عِنْدِي يَتِيمٌ**»؛ يَعْنِي: مَاذَا أَصْنَعُ مَعَهُ؟

«**اضْرِبْهُ**»؛ أَيْ: كَيْ لَا يَفْسُدَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَضْرِبُ وَلَدَكَ إِلَّا وَتَرَىٰ فِي ذَلِكَ مَنْفَعَةً وَمَصْلَحَةً لِوَلَدِكَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، فَافْعَلْ هَذَا مَعَ يَتِيمِكَ.

فَيَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَرْعَىٰ يَتِيمَهُ كَمَا يَرْعَىٰ وَلَدَهُ، وَابْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ -وَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ- يُوَجِّهُ الْمُكَلَّفِينَ إِلَىٰ رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ، وَأَنْ يُعَامِلُوا الْأَيْتَامَ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَامِلَ الْأَبْنَاءَ.

فَكَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَامِلَ وَلَدَهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا يُعَامِلُ وَلَدَهُ كَمَا أَمَرَ الشَّرْعُ فَيَدَعُهُ فِي غَيِّهِ، وَلَا يُحَاسِبُهُ عَلَىٰ شَيْءٍ أَتَاهُ، وَهَذَا خَطَأٌ، وَإِنَّمَا تُعَلِّقُ سَوْطَكَ بِحَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ «**عَلِّقْ سَوْطَكَ بِحَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ**»(١)؛ لِأَنَّ مَنْ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**المصنف**»: ٩/ ٤٤٧، رقم (١٧٩٦٣)، وفي «**جامع معمر**»: ١١/ ١٣٣، رقم (٢٠١٢٣)، والبخاري في «**الأدب المفرد**»: ص٣١٧، رقم (١٢٢٩)، والبزار في «**المسند**»: ١١/ ٤٠٤، رقم (٥٢٤٤)، والطبراني في «**المعجم الأوسط**»: ٤/ ٣٤١، رقم (٤٣٨٢)، وفي «**المعجم الكبير**»: ١٠/ ٣٤٤ و٣٤٥، والخطيب في «**تاريخ بغداد**»: ١٤/ ١١١، ترجمة (٦٦١٥)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: ٤٦/ ٣٥٢، ترجمة (٥٤٠٢)، من طرق: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلِّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ؛ فَإِنَّهُ لَهُمْ أَدَبٌ**».
وفي رواية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ **أَمَرَ بِتَعْلِيقِ السَّوْطِ فِي الْبَيْتِ**.
وفي أخرىٰ: «**عَلِّقْ سَوْطَكَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُكَ**».
=

أَمِنَ الْعُقُوبَةَ أَسَاءَ الْأَدَبَ.

عَامِلِ الْيَتِيمَ كَمَا تُعَامِلُ وَلَدَكَ، أَدِّبْهُ كَمَا تُؤَدِّبُ وَلَدَكَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ لَهُ الْحَبْلَ عَلَىٰ الْغَارِبِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُقَرِّبُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فَيَفْسُدُ الْيَتِيمُ تَبَعًا لِذَلِكَ، فَيَكُونُ وَلِيُّهُ، وَمَنْ قَامَ عَلَىٰ شَأْنِهِ وَكَفَلَهُ يَكُونُ قَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهِ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ أَفْضَلَ مَا أَعْطَاهُ الْوَالِدُ لِوَلَدِهِ وَوَرَّثَهُ لِوَلَدِهِ الْأَدَبُ الْحَسَنُ، أَنْ يُؤَدِّبَهُ أَدَبًا حَسَنًا؛ لِكَي يَسْتَقِيمَ أَمْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْحَيَاةِ، وَلِكَي يَكُونَ قَرِيبًا مِنَ الدِّينِ، قَائِمًا عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، قَرِيبًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، فَكَذَلِكَ يَتِيمُكَ، كَمَا قَالَ ابْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللهُ.

*** ضَوَابِطُ يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهَا عِنْدَ تَأْدِيبِ الْيَتِيمِ:**

عِبَادَ اللهِ! علىٰ الرَّجُلِ أَلَّا يَفْحُشَ، وَلَا يُعَاقِبَ بِعِقَابٍ مُرِيعٍ، وَلَا يَضْرِبَ ضَرْبًا مُبَرِّحًا، وَلَكِنْ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ الْحَزْمَ، فَيَأْتِيَ بِالْأَمْرِ عَلَىٰ وَجْهِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ، فَيَلِينَ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ، وَيَأْتِيَ بِالْحَسْمِ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، وَبِذَلِكَ يَسْتَقِيمُ أَمْرُهُ فِي التَّرْبِيَةِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي أَتَىٰ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.(*).

=

والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: ٣/ ٤٣٢، رقم (١٤٤٧)، وله شاهد من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بمثله.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ (ص٧٢٧-٧٣٠).

فَعَنْ شُمَيْسَةَ الْعَتَكِيَّةِ(١)، **قَالَتْ**: ذُكِرَ أَدَبُ الْيَتِيمِ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: «إِنِّي لَأَضْرِبُ الْيَتِيمَ حَتَّىٰ يَنْبَسِطَ»(٢). وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

«**حَتَّىٰ يَنْبَسِطَ**»: لَعَلَّ الْمُرَادَ مِنَ الِانْبِسَاطِ هَاهُنَا: الِامْتِدَادُ وَالِانْبِطَاحُ عَلَىٰ الْأَرْضِ، كَمَا جَرَتْ عَادَةُ الصِّبْيَانِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَغْضَبَهُمْ أَحَدٌ يَنْبَطِحُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ، وَيَتَمَرَّغُونَ، وَيَبْكُونَ، وَقَدْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِذَا أُوجِعُوا بِالضَّرْبِ.

فَالِانْبِسَاطُ هَاهُنَا: الِامْتِدَادُ وَالِانْبِطَاحُ عَلَىٰ الْأَرْضِ مِنَ الْغَضَبِ وَعَدَمِ الرِّضَا بِمَا يُعَامَلُ بِهِ.

عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ فِي ضَرْبِ الْيَتِيمِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يَضْرِبَهُ ضَرْبًا مُوْجِعًا، إِذَا كَانَ يَرَىٰ فِيهِ مَصْلَحَتَهُ، وَيَعْرِفَ مِنْ نَفْسِهِ صِدْقَ الْمَحَبَّةِ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ خَالِصَ النِّيَّةِ، وَكَانَ مُؤَدِّبًا لَهُ لِلَّهِ تَعَالَىٰ؛ يَعْنِي: يُؤَدِّبُ الْيَتِيمَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ حِينَئِذٍ أَنْ يَضْرِبَهُ، كَمَا فَعَلَتْ

---

(١) هي شميسة بنت عزيز بن عاقر، أم سلمة العتكية الوشقية البصرية، ثقة، روت عَن عائشة، وروىٰ عنها شعبة بن الحجاج وهشام بن حسان.

انظر ترجمتها: «**الجرح والتعديل**»: ٤/ ٣٩١، ترجمة (١٧١٣)، و«**تهذيب الكمال**»: ٣٥/ ٢٠٨، ترجمة (٧٨٧٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: ٩/ ١١٦ و١١٧، رقم (٢٦٦٨٦)، والحسين بن حرب المروزي في «**البر والصلة**»: ص١٠٩، رقم (٢٠٩)، وابن أبي الدنيا في «**العيال**»: ٢/ ٨٣٢، رقم (٦٢٩)، والبيهقي في «**الكبرىٰ**»: ٦/ ٢٨٥، رقم (١٢٦٧٤).

والأثر صحح إسناده الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: ص٧٦، رقم (١٠٥).

عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.(*).

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يُعَامِلَ يَتِيمَهُ كَمَا يُعَامِلُ وَلَدَهُ، وَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يُعَامِلَ وَلَدَهُ كَمَا قَضَتْ بِذَلِكَ الشَّرِيعَةُ، لَا أَنَّهُ يَأْخُذُ يَتِيمَهُ بِمَا يَأْخُذُ بِهِ وَلَدَهُ -وَهُوَ قَدْ تَرَكَ الْحَبْلَ عَلَىٰ الْغَارِبِ- فَلَا يُؤَدِّبُ وَلَدًا وَلَا يَتِيمًا، قَدْ أَسَاءَ فِي الْحَالَيْنِ، وَإِنَّمَا يَلْتَزِمُ الشَّرْعَ فِي الْحَالَيْنِ كِلَيْهِمَا.(*/٢).

*** وِقَايَةُ الْأَيْتَامِ النَّارَ كَالْأَبْنَاءِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ:**

إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمَرَنَا أَنْ نَقِيَ أَنْفُسَنَا النَّارَ، وَوَصَفَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِبَعْضِ صِفَاتِهَا كَمَا وَصَفَ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا بِبَعْضِ صِفَاتِهِمْ، وَحَذَّرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَمَرَنَا أَنْ نَقِيَ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِينَا ذَلِكَ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ، وَهُوَ وُرُودُ النَّارِ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦].

فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَادَانَا بِوَصْفِ الْإِيمَانِ؛ لَكِيْ يَكُونَ ذَلِكَ حَافِزًا لَنَا عَلَىٰ إِلْقَاءِ سَمْعِ الْقَلْبِ لِمَا يَأْمُرُنَا بِهِ وَمَا يَنْهَانَا عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: أَدَبُ الْيَتِيمِ (ص٧٣٦-٧٣٧).

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ (ص٧٢٧-٧٣٠).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يَا مَنْ أَعْلَنْتُمْ إِيمَانكُمْ بِرَبِّكِمْ جَلَّوَعَلَا، فَآمَنْتُمْ بِهِ وَبِمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابٍ، وَبِالرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا؛ فَاسْمَعُوا وَعُوا، وَامْتَثِلُوا أَمْرَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاجْتَنِبُوا مَسَاخِطَهُ.

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: اجْعَلُوا بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ وَبَيْنَ نَارِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وِقَايَةً وَجُنَّةً، ﴿وَأَهۡلِيكُمۡ﴾: فَإِنَّكُمْ رُعَاةٌ فِيهِمْ، وَكُلُّ رَاعٍ فِي رَعِيَّةٍ هُوَ مَسْئُولٌ عَنْهَا، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.(*).

*** عَلِّمُوا الْأَيْتَامَ أُصُولَ الِاعْتِقَادِ كَتَعْلِيمِكُمْ أَبْنَائِكُمْ:**

قَالَ ابْنُ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللهُ: «اصْنَعْ بِالْيَتِيمِ مَا تَصْنَعُ بِوَلَدِكَ»(١). (*/٢).

عِبَادَ اللهِ! عَلِّمُوهُمْ دِينَ رَبِّهِمْ: عَقِيدَتَهُ، وَعِبَادَتَهُ، وَمُعَامَلَتَهُ، وَأَخْلَاقَهُ، وَسُلُوكَهُ؛ لِيَفُوزُوا بِالرِّضْوَانِ فِي الْآخِرَةِ مَعَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا.

تَعَلَّمُوا أُصُولَ الِاعْتِقَادِ وَعَلِّمُوهَا، قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي يُوَرِّطُ الْخَلْقَ فِي النَّارِ تَوَرُّطًا، وَاللهُ لَا يَغْفِرُهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

عَلِّمُوهُمْ أَنْ يَنْذِرُوا للهِ، إِنْ نَذَرُوا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٠هـ/ ٤/ ٩/ ٢٠٠٩م.

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ (ص٧٢٧).

عَلِّمُوهُمْ أَلَّا يَذْبَحُوا إِلَّا للهِ، وَأَلَّا يَتَوَكَّلُوا إِلَّا عَلَىٰ اللهِ، أَلَّا يُحِبُّوا إِلَّا فِي اللهِ، وَأَلَّا يُبْغِضُوا إِلَّا فِي اللهِ.

عَلِّمُوهُمْ أَسْمَاءَ اللهِ وَصِفَاتِهِ.

دُلُّوهُمْ عَلَىٰ الصَّوَابِ وَالْحَقِيقَةِ فِي مَسَائِلِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، أَلَّا يَكُونُوا مُرْجِئَةً، وَأَلَّا يَكُونُوا خَوَارِجَ؛ فَيَخْسَرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

عَلِّمُوهُمْ الْحَقَّ الْحَقِيقَ فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَإِلَّا صَارُوا مُتَوَاكِلِينَ، لَا يَنْهَضُونَ لِهِمَّةٍ، وَلَا يَأْتُونَ بِعَزْمٍ فِي مُلِمَّةٍ.

عَلِّمُوهُمُ الْوَاجِبَ تِجَاهَ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَلَّا يَكُونُوا رَافِضَةً، وَأَلَّا يَكُونُوا نَاصِبَةً؛ حَتَّىٰ يَكُونُوا عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ.

عَلِّمُوهُمُ الْحَقَّ الْحَقِيقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ يُجَانِبُوا الشِّيعَةَ الرَّوَافِضَ الْمَلَاعِينَ فِي سَبِّهِمْ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ، وَفِي تَكْفِيرِهِمْ لَهُمْ، وَفِي رَمْيِهِمْ بِالْخِيَانَةِ لِلدِّينِ، وَارْتِدَادِهِمْ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ؛ حَتَّىٰ لَا يَنْجُمَ فِي بَيْتِكَ مَنْ يَقُولُ: هَؤُلَاءِ إِخْوَانُنَا، وَهَؤُلَاءِ نَتَقَارَبُ مَعَهُمْ!!

عَلِّمُوهُمُ الْحَقَّ الْحَقِيقَ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

عَلِّمُوهُمْ أَلَّا يَنْظُرُوا إِلَىٰ كِتَابِ رَبِّهِمْ جَلَّوَعَلَا نَظْرَةَ السُّوءِ؛ فَيَرَوْهُ مُفَكَّكًا لَا يَتَمَاسَكُ كَمَا يَزْعُمُ الْعَلْمَانِيُّونَ وَالْمُسْتَشْرِقُونَ، وَكَمَا يَزْعُمُ الْمُكَفِّرُونَ الْمُنَصِّرُونَ، فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا وَكَثِيرًا.

عَلِّمُوهُمْ حَقَّ رَسُولِ اللهِ، وَعَرِّفُوهُمْ بِهِ.

فَمَا وَقَيْتَهُ النَّارَ، وَأَسَأْتَ، وَتَعَدَّيْتَ، وَظَلَمْتَ! وَلَمْ تَرْعَ فِيهِ أَمَانَةَ اللهِ!

عَلِّمْهُ دِينَ اللهِ، وَدِينُ اللهِ لَا فُرْقَةَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هُوَ قِيَامٌ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.(*).

*** عَلِّمُوا الْيَتَامَى صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ:**

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي فَرَضَ اللهُ جَلَّوَعَلَا عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَهِيَ الرُّكْنُ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَأَعْظَمُ رُكْنٍ عَمَلِيٍّ فِيهِ، هَذِهِ الصَّلَاةُ ضَيَّعَهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، إِمَّا إِضَاعَةً كَامِلَةً بِحَيْثُ لَا يُصَلُّونَ، وَإِمَّا إِضَاعَةً جُزْئِيَّةً بِحَيْثُ إِنَّهُمْ يُصَلُّونَ وَيَتْرُكُونَ أَوْ عَنِ الصَّلَاةِ يَتَهَاوَنُونَ.

وَالرَّسُولُ ﷺ قَدْ بَيَّنَ عَظِيمَ قَدْرِهَا، فَقَالَ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٠هـ/ ٤/ ٩/ ٢٠٠٩م.

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٥/ ١٣، رقم (٢٦٢١)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: ١/ ٢٣١، رقم (٤٦٣)، وابن ماجه في «**السنن**»: ١/ ٣٤٢، رقم (١٠٧٩)، من حديث: بُرَيْدَةَ رضي الله عنه.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: ١/ ٣٦٦، رقم (٥٦٤).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوصِي سَرَايَاهُ وَأُمَرَاءَ السَّرَايَا إِذَا بَعَثَهُمْ أَلَّا يَدْهَمُوا مَحَلَّةً وَلَا قَرْيَةً وَلَا تَجَمُّعًا حَتَّىٰ يَتَلَبَّثُوا، فَإِنْ سَمِعُوا الْأَذَانَ كَفُّوا، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا الْأَذَانَ صَبَّحُوهُمْ(١).

فَجَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الشَّعِيرَةَ الْعَظِيمَةَ مِنْ شَعَائِرِ الدِّينِ الْعَظِيمِ وَهِيَ شَعِيرَةُ الْأَذَانِ، وَلَهُ مَا لَهُ مِنَ الْقَدْرِ فِي دِينِ اللهِ، لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَ الْمُؤَذِّنُونَ كَثُرَ الْخَيْرُ، فَإِنَّ الْمُؤَذِّنَ يشْهَدَ لَهُ مَدَىٰ صَوْتِهِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ، وَحَجَرٍ وَشَجَرٍ وَنَبَاتٍ(٢).

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٢/ ٨٩ و٩٠، رقم (٦١٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٢٨٨، رقم (٣٨٢)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّىٰ يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ،... الحديث.

وفي رواية مسلم: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُغِيرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَىٰ الْفِطْرَةِ**» ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ**».

وروي نحوه عَنِ ابْنِ عِصَامٍ الْمُزَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَقَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا أَوْ سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا**».

(٢) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٢/ ٨٧ و٨٨، رقم (٦٠٩)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لَا يَسْمَعُ مَدَىٰ صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ، جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وفي رواية لابن ماجه في «**السنن**»: ١/ ٢٣٩، رقم (٧٢٣): «**لَا يَسْمَعُهُ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَجَرٌ، وَلَا حَجَرٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ**».

جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْأَذَانَ مَطْرَدَةً لِلشَّيْطَانِ(١)، وَجَعَلَهُ مِنْ أَعْظَمِ الشَّعَائِرِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ الْإِذْعَانِ.

الصَّلَاةُ أَعْظَمُ شَعَائِرِ الدِّينِ، وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْمَرْءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٢).

عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهَا، وَأَنْ يُصَحِّحَ هَذِهِ الْفَرِيضَةَ الْعَظِيمَةَ؛ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَأَدَاءً وَدَعْوَةً؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا صَلَّىٰ عُمُرَهُ كُلَّهُ وَلَا يُعَدُّ مُصَلِّيًا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلرَّجُلِ الَّذِي قَامَ يُصَلِّي بَيْنَ يَدَيْهِ -هُوَ يُصَلِّي فِي مَحْضَرٍ عَظِيمٍ، هُوَ مَحْضَرُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَفِي مَكَانٍ جَلِيلٍ فَخِيمٍ وَهُوَ مَسْجِدُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ- هُوَ يُصَلِّي وَجَاءَ الْمَسْجِدَ لِيُصَلِّيَ وَقَدْ تَوَضَّأَ وَتَأَهَّبَ،

---

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٨٩، رقم (١٢٢٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٢٩١، رقم (٣٨٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ حَتَّىٰ إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ**،...» الحديث.

والحديث بنحوه في «**صحيح مسلم**» أيضا من رواية جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرج أبو داود في «**السنن**»: ١/ ٢٢٩، رقم (٨٦٤)، والترمذي في «**الجامع**»: ٢/ ٢٦٩، رقم (٤١٣)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: ١/ ٢٣٢ و٢٣٣، وابن ماجه في «**السنن**»: ١/ ٤٥٨، رقم (١٤٢٥)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ**»،... الحديث.

والحديث صححه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: ٤/ ١٦-٢٠، رقم (٨١٠)، وله شواهد كثيرة من حديث ابن مسعود وأنس وتميم الداري رضي الله عنهم.

وَلَكِنَّهُ لَمْ يُصَلِّ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ إِذْ كَانَ مُسِيئًا لِلصَّلَاةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِمَّا أَتَىٰ بِهِ مِمَّا لَا يُسَمَّىٰ فِي الشَّرْعِ صَلَاةً، قَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**».

فَصَلَّىٰ كَمَا صَلَّىٰ قَبْلُ، قَالَ «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، فَصَلَّىٰ كَمَا صَلَّىٰ، ثُمَّ قَالَ لَمَّا رُوجِعَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَعْرِفُ سِوَىٰ مَا رَأَيْتَ، فَعَلَّمَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ(١).

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُصَلِّي وَلَا يُصَلِّي!! «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، هُوَ يُعَنِّي نَفْسَهُ زَمَانًا طَوِيلًا وَلَا يَأْتِي بِالصَّلَاةِ كَمَا يُرِيدُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

هَذِهِ الصَّلَاةُ عَلَّمَنَا إِيَّاهَا رَسُولُ اللهُ ﷺ، فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَلَّا يَكُونَ مُصَلِّيًا فَقَطْ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُصَلِّيًا صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.(*).

عِبَادَ اللهِ! عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ الصَّلَاةِ مَعْرِفَةً عِلْمِيَّةً؛ لِيَعْرِفَ كَيْفَ يُصَلِّي كَمَا كَانَ يُصَلِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٢/ ٢٣٧، رقم (٧٥٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٢٩٧، رقم (٣٩٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «اتَّقُوا اللهَ فِي الصَّلَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣١هـ/ ٩-٧-٢٠١٠م.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٢/ ١١١، رقم (٦٣١)، من حديث: مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: «**ارْجِعُوا**
=

بَلْ إِنَّهُ ﷺ مِنْ حِرْصِهِ عَلَىٰ الْبَيَانِ لِكَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ؛ كَانَ أَحْيَانًا يُصَلِّي عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَيُصَلِّي عَلَىٰ الْمِنْبَرِ؛ لِيَرَاهُ مَنْ هُوَ قَاصٍ كَمَا يَرَاهُ مَنْ هُوَ دَانٍ، وَلِيَكُونَ عَمَلُهُ فِي الصَّلَاةِ ﷺ مَنْظُورًا مَرْئِيًّا لِجَمِيعِ مَنْ حَضَرَ حَتَّىٰ يَتَأَسَّوْا بِهِ فِي الْإِتْيَانِ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ وَهِيَ الصَّلَاةُ.

فَكَانَ ﷺ أَحْيَانًا يُصَلِّي عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ؛ رَجَعَ الْقَهْقَرَىٰ؛ حَتَّىٰ لَا يَخْرُجَ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَىٰ الْقِبْلَةِ، فَنَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ فَيَسْجُدُ فِي أَصْلِهِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ سُجُودِهِ قَامَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَصَلَّىٰ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ(١)، يَقُولُ ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**».(*).

=

إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ».

والحديث أخرجه أيضا مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٤٦٥، رقم (٦٧٤)، بدون قوله: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**».

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: ٨/ ٣٩٧، رقم (٩١٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٣٨٦، رقم (٥٤٤)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّىٰ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلَ القَهْقَرَىٰ، فَسَجَدَ فِي أَصْلِ المِنْبَرِ ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ كَلَامِ شَيْخِنَا -حَفِظَهُ اللهُ- تَعْلِيقًا عَلَىٰ كِتَابِ «صِفَةِ الصَّلَاةِ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - الثُّلَاثَاءُ ٢٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَة ١٤٣٥هـ/ ٢٩-٤-٢٠١٤م.

* **اتَّقُوا اللهَ فِي أَبْنَائِكُمْ، وَفِي الْيَتَامَى، وَعَلِّمُوهُمْ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ**؛ فَقَدْ قَالَ ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُم عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ**»(١). (*).

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: ١/ ١٣٣، رقم (٤٩٥)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، بلفظ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**».

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: ١/ ٢٦٦، رقم (٢٤٧)، وله شاهد من حديث: سبرة بن معبد رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مَقْطَعٌ بِعُنْوَانٍ: «لَا يَجُوزُ ضَرْبُ الطِّفْلِ وَهُوَ أَقَلُّ مِنْ ١٠ سِنِينَ».

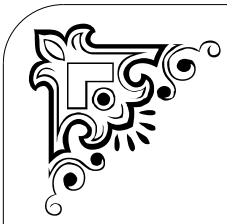

اسْتِحْبَابُ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَالدُّعَاءِ لَهُ

يُسْتَحَبُّ مَسْحُ رَأْسِ الْيَتِيمِ وَإِكْرَامُهُ؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: لَوْ رَأَيْتَنِي وَقُثَمَ وَعُبَيْدَ اللهِ ابْنَيْ عَبَّاسٍ، وَنَحْنُ صِبْيَانٌ نَلْعَبُ، إِذْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ دَابَّةٍ، فَقَالَ: «**ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ**».

قَالَ: فَحَمَلَنِي أَمَامَهُ.

وَقَالَ لِقُثَمَ: «**ارْفَعُوا هَذَا إِلَيَّ**»؛ فَجَعَلَهُ وَرَاءَهُ.

وَكَانَ عُبَيْدُ اللهِ أَحَبَّ إِلَىٰ عَبَّاسٍ مِنْ قُثَمَ، فَمَا اسْتَحَىٰ مِنْ عَمِّهِ ﷺ أَنْ حَمَلَ قُثَمَ وَتَرَكَهُ -أَيْ وَتَرَكَ عُبَيْدَ اللهِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَىٰ أَبِيهِ مِنْ أَخِيهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ارْفَعُوهُ إِلَيَّ»، فَحَمَلَهُ وَرَاءَهُ ﷺ-، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ثُمَّ مَسَحَ عَلَىٰ رَأْسِي ثَلاثًا، وَقَالَ كُلَّمَا مَسَحَ: «**اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي وَلَدِهِ**».

قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ: مَا فَعَلَ قُثَمُ؟

قَالَ: اسْتُشْهِدَ.

قَالَ: قُلْتُ: اللهُ أَعْلَمُ بِالْخَيْرِ وَرَسُولُهُ بِالْخَيْرِ.

قَالَ: أَجَلْ(١).

إِسْنَادُهُ حَسَنٌ.(*).

---

(١) أخرجه أحمد في «**المسند**»: ١/ ٢٠٥، رقم (١٧٦٠)، والسياق له، والبخاري في «**التاريخ الكبير**»: ٧/ ١٩٤، ترجمة (٨٦٣)، والنسائي في «**السنن الكبرىٰ**»: ٩/ ٣٩١ و٣٩٣، والحاكم في «**المستدرك**»: ١/ ٣٧٢، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ».
وحسن إسناده أيضا الألباني في «**أحكام الجنائز**»: ١/ ١٦٨، رقم (١١٦)، والحديث بنحوه في «**صحيح مسلم**»: ٤/ ١٨٨٥، رقم (٢٤٢٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ أَحْكَامِ الْجَنَائِزِ لِلْعَلَّامَةِ الْأَلْبَانِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-» - الْمُحَاضَرَةُ ١٩ - الثُّلَاثَاءُ ٢٤ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٢٩هـ/ ١-٤-٢٠٠٨م.

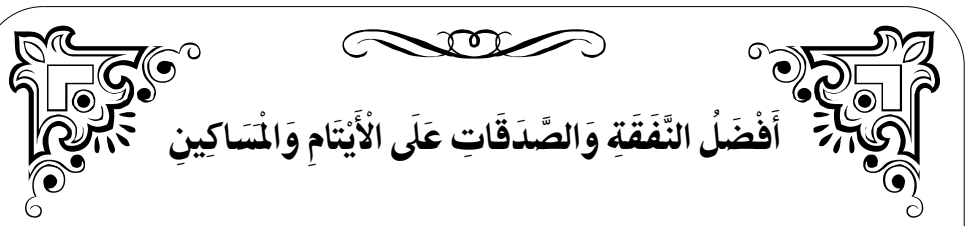

أَفْضَلُ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَاتِ عَلَى الْأَيْتَامِ وَالْمَسَاكِينِ

إِنَّ الصَّدَقَةَ مُسْتَحَبَّةٌ، وَتُشْرَعُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، لِإِطْلَاقِ الْحَثِّ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلِلتَّرْغِيبِ فِيهَا.(*).

لَقَدْ حَثَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **عَلَى إِنْفَاقِ الْمَالِ الْحَلَالِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَالصَّدَقَةِ عَلَى أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْ أَهَمِّهِمْ: الْيَتَامَى، فَقَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿**وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ**﴾ أَيْ: أَخْرَجَهُ، وَهُوَ مُحِبٌّ لَهُ، رَاغِبٌ فِيهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَأْمُلُ الْغِنَىٰ، وَتَخْشَىٰ الْفَقْرَ**».

وَقَوْلُهُ: ﴿**ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ**﴾: وَهُمْ: قَرَابَاتُ الرَّجُلِ، وَهُمْ أَوْلَىٰ مَنْ أُعْطِيَ مِنَ الصَّدَقَةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ: «**الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ ذَوِي الرَّحِمِ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ رُكْنِ الزَّكَاةِ مِنْ مَنْظُومَةِ: الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ».

(١) «**صحيح البخاري**»: ٣/ ٢٨٤ و٢٨٥، رقم (١٤١٩)، و«**صحيح مسلم**»: ٢/ ٧١٦، رقم (١٠٣٢).

اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»(١).

فَهُمْ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِكَ وَبِبِرِّكَ وَإِعْطَائِكَ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ -أَيْ إِلَىٰ ذِي الْقُرْبَةِ- فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱلْيَتَٰمَىٰ**﴾: هُمُ الَّذِينَ لَا كَاسِبَ لَهُمْ، وَقَدْ مَاتَ آبَاؤُهُمْ، وَهُمْ ضُعَفَاءُ صِغَارٌ دُونَ الْبُلُوغِ وَالْقُدْرَةِ عَلَىٰ التَّكَسُّبِ، فَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يُتْمَ بَعْدَ حُلُمٍ**»(٢). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

﴿**وَٱلْمَسَٰكِينَ**﴾: وَهُمُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ فِي قُوتِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ وَسُكْنَاهُمْ، فَيُعْطَوْنَ مَا تُسَدُّ بِهِ حَاجَتُهُمْ وَخَلَّتُهُمْ.(*).

وَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢١٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: ٣/ ٣٨، رقم (٦٥٨)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: ٥/ ٩٢، رقم (٢٥٨٢)، وابن ماجه في «**السنن**»: ١/ ٥٩١، رقم (١٨٤٤)، من حديث: سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ رضي الله عنه.
قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»، والحديث حسنه أيضا الألباني في «**إرواء الغليل**»: ٣/ ٣٨٧، رقم (٨٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: ٣/ ١١٥، رقم (٢٨٧٣)، بلفظ: «**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ**،...».
والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: ٥/ ٧٩، رقم (١٢٤٤)، وروي أيضا عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ» - الْمُحَاضَرَةُ ١٦ - الِاثْنَيْن ١٩ مِن ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ/ ٢٢-٨-٢٠١٦م.

يَسْأَلُكَ أَصْحَابُكَ يَا رَسُولَ اللهِ! مَاذَا يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ؟

قُلْ لَهُمْ: مَا تَفْعَلُوا مِنْ إِنْفَاقِ شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ؛ **فَأَنْفِقُوهُ فِي هَذِهِ الْوُجُوهِ الْخَمْسَةِ:**

الْأَوَّلُ: الْوَالِدَانِ؛ لِمَا لَهُمَا مِنْ فَضْلِ الْوِلَادَةِ وَالْعَطْفِ وَالتَّرْبِيَةِ.

وَالثَّانِي: الْأَقْرَبُونَ مِنْ أَهْلِكُمْ وَذَوِي أَرْحَامِكُمْ.

الثَّالِثُ: الْيَتَامَىٰ الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ فِي الصِّغَرِ دُونَ سِنِّ الْبُلُوغِ.

الرَّابِعُ: الْمَسَاكِينُ الْمُتَعَرِّضُونَ لِلْعَطَاءِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ الصَّدَقَةَ.

الْخَامِسُ: الْمُسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ عَنْ بَلَدِهِ، وَلَيْسَ لَهُ مَا يَقْطَعُ بِهِ مَسَافَةَ سَفَرِهِ.

وَمَا تَفْعَلُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- مِنْ خَيْرٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ مَعَ هَؤُلَاءِ أَوْ غَيْرِهِمْ؛ طَلَبًا لِوَجْهِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بِهِ عَلِيمٌ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.(*).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨-١٠].

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ لِلْطَعَامِ وَقِلَّتِهِ، وَتَعَلُّقِ شَهْوَتِهِمْ بِهِ، وَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا لَا مَالَ لَهُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ الْكَسْبِ، وَصَغِيرًا لَا أَبَ لَهُ، يَكْتَسِبُ لَهُ، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَأَسِيرًا بِيَدِي الْأَعْدَاءِ أَوْ مَسْجُونًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[البقرة: ٢١٥].

يَقُولُونَ لِمَنْ أَطْعَمُوهُمْ: مَا نُطْعِمُكُمْ إِلَّا لِأَجْلِ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَرَجَاءَ ثَوَابِهِ، لَا نُرِيدُ مُكَافَأَةً، وَلَا طَلَبَ حَمْدٍ وَثَنَاءٍ مِنْكُمْ.

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا شَدِيدًا تَعْبَثُ فِيهِ الْوُجُوهُ مِنْ هَوْلِهِ وَشِدَّتِه، كَرِيهًا تَتَقَطَّبُ فِيهِ الْجِبَاهُ مِنْ فَظَاعَةِ أَمْرِهِ وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ.(*).

وَمِنْ أَعْظَمِ الْإِنْفَاقِ: الْإِنْفَاقُ عَلَى يَتِيمٍ جَائِعٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤- ١٥].

أَوْ إِطْعَامٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَجَاعَةٍ عَامَّةٍ صَغِيرًا مَاتَ أَبُوهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ، بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ.(*/٢).

هَذَا كُلُّهُ مِنْ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ دِينُ الْمُوَاسَاةِ وَالرَّحْمَةِ، دِينُ التَّعَاوُنِ وَالتَّآخِي فِي اللهِ، فَمَا أَجْمَلَهُ! وَمَا أَجَلَّهُ! وَمَا أَحْكَمَ تَشْرِيعَهُ!(*/٣).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الإنسان: ٨- ١٠].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [البلد: ١٤-١٥].

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ رُكْنِ الزَّكَاةِ مِنْ مَنْظُومَةِ: الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ».

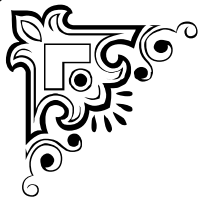
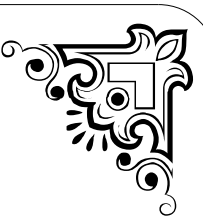

التَّحْذِيرُ مِنْ إِيذَاءِ الْيَتِيمِ وَقَهْرِهِ

* **لَقَدْ حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى مِنْ إِيذَاءِ الْيَتَامَى، وَالْقَسْوَةِ عَلَيْهِمْ**، فَأَوْصَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِالْيَتَامَىٰ وَالْفُقَرَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحىٰ: ٩]، قَالَ مُجَاهِدٌ: «لَا تَحْتَقِرِ الْيَتِيمَ فَقَدْ كُنْتَ يَتِيمًا»(١).

وَقَالَ الْفَرَّاءُ(٢)، **وَالزَّجَّاجُ**(٣): «لَا تَقْهَرْهُ عَلَىٰ مَالِهِ فَتَذْهَبَ بِحَقِّهِ لِضَعْفِهِ، وَكَذَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَفْعَلُ فِي أَمْرِ الْيَتَامَىٰ، تَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ وَتَظْلِمُهُمْ حُقُوقَهُمْ».

وَقَدْ يَكُونُ الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَتُقْصَدُ الْأُمَّةُ بِخِطَابِهِ ﷺ.(*).

---

(١) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: ٣٠/ ٢٣٣، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، قَالَ: «تُغْمِصُهُ وَتَحْقِرُهُ»، الأثر عزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: ٦/ ٣٦٢ أيضا إلىٰ ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) «**معاني القرآن**» للفراء: ٣/ ٢٧٤، ط٣، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

(٣) «**معاني القرآن**» للزجاج: ٥/ ٣٤٠، ط١، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «تَفْسِيرُ جُزْءِ عَمَّ - سُورَةُ الضُّحَىٰ» - الْأَحَدُ ١١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨هـ/ ٢٣-٩-٢٠٠٧م.

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ ذَامًّا لِمَنْ تَرَكَ حُقُوقَهُ وَحُقُوقَ عِبَادِهِ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [الماعون: ١]؛ أَيْ: بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، فَلَا يُؤْمِنُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]؛ أَيْ: يَدْفَعُهُ بِعُنْفٍ وَشِدَّةٍ، وَلَا يَرْحَمُهُ لِقَسَاوَةِ قَلْبِهِ، وَلِأَنَّهُ لَا يَرْجُو ثَوَابًا، وَلَا يَخَافُ عِقَابًا.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «تَفْسِيرُ الْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ - سُورَةُ الْمَاعُونَ» - الثُّلَاثَاءُ ٩ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ/ ٢٣-٢-٢٠١٠م.

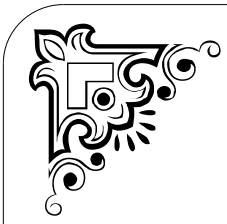

التَّحْذِيرُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى

لَقَدْ حَذَّرَ اللهُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ، وَأَمَرَ ﷻ **بِأَلَّا يَقْرَبَ النَّاسُ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ**، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

إِنَّ الَّذِينَ يَعْتَدُونَ عَلَىٰ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ بِسَائِرِ أَنْوَاعِ التَّصَرُّفَاتِ الرَّدِيئَةِ، الْمُتْلِفَةِ لِلْمَالِ؛ حَرَامًا بِغَيْرِ حَقٍّ، سَيَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا، تَحْرِقُ بُطُونَهُمْ، وَتَشْوِي أَحْشَاءَهُمْ، وَسَيَدْخُلُونَ نَارًا هَائِلَةً مُشْتَعِلَةً، يَحْتَرِقُونَ فِيهَا؛ جَزَاءَ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا.(*).

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ**﴾ [الأنعام: ١٥٢].

مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ: الِاقْتِرَابُ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ قَبْلَ الْحُلُمِ، فَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ الَّذِي أَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ أَوْ أَوْصِيَاءُ عَلَيْهِ، إِلَّا بِالْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الْأَمْوَالِ الثَّابِتَةِ كَالْأَرَضِينَ وَالدُّورِ وَالْأَغْرَاسِ، وَتَثْمِيرِ الْمَنْقُولِ، وَتَحْصِيلِ الرِّبْحِ فِيهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ١٠].

فَاحْفَظُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَىٰ أَنْ يَبْلُغَ الْحُلُمَ، مَعَ إِينَاسِ الرُّشْدِ، فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَادْفَعُوا إِلَيْهِ مَالَهُ.

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَوَىٰ ابْنُ جَرِيرٍ(١): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وَ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النِّساء: ١٠]، انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ عَنْ طَعَامِهِ، وَشَرَابَهُ عَنْ شَرَابِهِ، فَجَعَلَ يَفْضُلُ لَهُ الشَّيْءُ مِنْ طَعَامِهِ، فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّىٰ يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسَدَ.

فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِمْ، وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِمْ».

وَرَوَىٰ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ(٢): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَالُ الْيَتِيمِ

---

(١) «**جامع البيان**»: ٢/ ٣٦٩ و٣٧٠، وأخرجه أيضا أبو داود في «**السنن**»: ٣/ ١١٤، رقم (٢٨٧١)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: ٦/ ٢٥٦.

والحديث حسنه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: ٢/ ٢٠٨، وسبب نزول الآية هذه ثبت في «الصحيحين» من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنحوه.

(٢) «**تفسير ابن كثير**»: ١/ ٥٨١ و٥٨٢، وأخرجه أيضا القاسم بن سلام في «**الناسخ والمنسوخ**»: ص٢٣٩، رقم (٤٣٩)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: ٦/ ٣٨٣، رقم

عِنْدِي عُرَّةً -وَالْعُرَّةُ: الْقَدَرُ، تُرِيدُ أَنْ تَتَجَنَّبَهُ تَجَنُّبَ الْقَدَرِ- (وَفِي رِوَايَةٍ: أَنْ يَكُونَ مَالُ الْيَتِيمِ عِنْدِي عَلَىٰ حِدَةٍ)، حَتَّىٰ أَخْلِطَ طَعَامَهُ بِطَعَامِي وَشَرَابَهُ بِشَرَابِي».

فَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أَيْ: عَلَىٰ حِدَةٍ.

﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أَيْ: وَإِنْ خَلَطْتُمْ طَعَامَكُمْ بِطَعَامِهِمْ وَشَرَابَكُمْ بِشَرَابِهِمْ، فَلَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾؛ أَيْ: يَعْلَمُ مَنْ قَصْدُهُ وَنِيَّتُهُ الْإِصْلَاحُ أَوِ الْإِفْسَادُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ أَيْ: وَلَوْ شَاءَ لَضَيَّقَ عَلَيْكُمْ وَأَحْرَجَكُمْ، وَلَكِنَّهُ وَسَّعَ عَلَيْكُمْ، وَخَفَّفَ عَنْكُمْ، وَأَبَاحَ لَكُمْ مُخَالَطَتَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، بَلْ قَدْ جَوَّزَ الْأَكْلَ مِنْهُ لِلْفَقِيرِ بِالْمَعْرُوفِ، إِمَّا بِشَرْطِ ضَمَانِ الْبَدَلِ لِمَنْ أَيْسَرَ، أَوْ مَجَّانًا.(*).

❀❀❀

=

(٢١٣٨٩)، والطبري في «**جامع البيان**»: ٢/ ٣٧٣، من طرق: عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَالُ الْيُتْمِ عِنْدِي عَلَىٰ حِدَةٍ، حَتَّىٰ أَخْلِطَ طَعَامَهُ بِطَعَامِي، وَشَرَابَهُ بِشَرَابِي».

والأثر عزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: ١/ ٢٥٦ إلىٰ وكيع وعبد بن حميد.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ» - الْأَحَد ٢٠ مِنْ صَفَر ١٤٣٨هـ/ ٢٠-١١-٢٠١٦م.

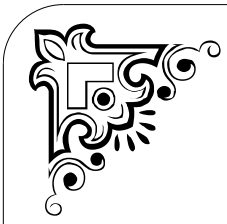

رِعَايَةُ الْأَيْتَامِ وَاجِبٌ مُجْتَمَعِيٌّ

*** الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا جَسَدٌ وَاحِدٌ:**

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! لَقَدْ مَثَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ بِالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَهَذَا هُوَ الْمِثَالُ الصَّحِيحُ لِكُلِّ شَعْبٍ مُؤْمِنٍ، أَنْ يَتَعَاوَنَ أَفْرَادُهُ فِي إِقَامَةِ بِنَائِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْغَرَضُ تَشْيِيدَ هَذَا الْبِنَاءِ وَتَمَاسَكَهُ وَتَرَاصَّهُ، بِحَيْثُ يُكَمِّلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُقَوِّمُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا إِيمَانَ كَامِلَ مَعَ التَّفَرُّقِ، وَلَا بِنَاءَ مُحْكَمٌ مَعَ التَّفَكُّكِ.

أَرَأَيْتُمْ لَوْ أُخِذَ مِنَ الْبِنَاءِ لَبِنَةٌ؛ أَلَا يَنْقُصُ هَذَا الْبِنَاء؟!

فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ اللَّبِنَاتُ مُتَنَاثِرَةً مُتَنَافِرَةً، بَلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ تَهْدِمُ الْأُخْرَىٰ وَتُزَلْزِلُهَا؟!!

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ! اجْتَمِعُوا عَلَىٰ الْحَقِّ، وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّحْذِيرُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ وَحُقُوقُ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ أَخِيهِ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ - الثُّلَاثَاءُ ٢٥ مِنْ صَفَر ١٤٣٩هـ/ ١٤-١١-٢٠١٧م (كَلِمَةٌ لِإِخْوَانِنَا فِي لِيبِيَا).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»(١).(*).

وَقَالَ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّىٰ**»(٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ**».

إِذَنْ؛ الْمُؤْمِنُونَ جَمِيعًا جَسَدٌ وَاحِدٌ.(*/٢).

فَالْمُؤْمِنُونَ يَتَعَاضَدُونَ، يَتَنَاصَرُونَ، يَتَحَابُّونَ، يَتَوَادُّونَ، إِذَا اشْتَكَىٰ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ.

فَالْجَسَدُ الْوَاحِدُ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، وَلَوْ مِنْ أَصْغَرِ الْأَعْضَاءِ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ؛ فَإِذَا أَوْجَعَكَ أُصْبُعُكَ الْخِنْصَرُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَصْغَرِ الْأَعْضَاءِ؛ فَإِنَّ الْجَسَدَ كُلَّهُ يَتَأَلَّمُ، إِذَا أَوْجَعَتْكَ الْأُذُنُ؛ تَأَلَّمَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا أَوْجَعَتْكَ الْعَيْنُ؛ تَأَلَّمَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٥٦٥، رقم (٤٨١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٩٩٩، رقم (٢٥٨٥)، من حديث: أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! لَا عُذْرَ لَكُمْ!!» - ٢٩ مِنْ صَفَر ١٤٣٧هـ - ١١/ ١٢/ ٢٠١٥م.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٤٣٩، رقم (٦٠١١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٩٩٩، رقم (٢٥٨٦)، من حديث: النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «الْأُخُوَّةُ الصَّادِقَةُ».

فَهَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلٌ مُصَوِّرٌ لِلْمَعْنَىٰ، وَمُقَرِّبٌ لَهُ غَايَةَ التَّقْرِيبِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْإِنْسَانَ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ؛ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْيَا وَحْدَهُ، الْإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ بِفِطْرَةٍ مَغْرُوزَةٍ فِيهِ، هِيَ أَنَّهُ: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْيَا وَحْدَهُ، لَا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْ إِخْوَانِهِ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الشَّرْعَ الْأَغَرَّ قَدْ حَدَّدَ الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ، وَحَدَّدَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَمُجْتَمَعِهِ، فَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْإِنْسَانُ دِينَ رَبِّهِ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤَدِّيَ حَقَّهُ عَلَيْهِ، وَلا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِفَ وَاجِبَهُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ جَاهِلًا مُتَخَبِّطًا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ رَاعَىٰ حُقُوقَ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.(*/٢).

* **وَمِنْ أَهَمِّ الْحُقُوقِ الَّتِي وَصَّى بِهَا اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ: حُقُوقُ الْيَتَامَى:** فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧].

إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ فِي شَأْنِ الْيَتَامَىٰ -ذُكُورًا كَانُوا أَوْ إِنَاثًا- أَنْ تَقُومُوا لِأَجْلِهِمْ وَمَصْلَحَتِهِمْ بِالْعَدْلِ فِي مِيرَاثِهِمْ، وَسَائِرِ أَمْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» - الْمُحَاضَرَة ٦٧ - الِاثْنَيْنِ ٩ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٢٨هـ/ ١٩-١١-٢٠٠٧م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مَظْلُومِيَّةُ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١٦ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٥هـ/ ١٧-١-٢٠١٤م.

وَأَنْ تَتَعَاهَدُوهُمْ بِالْعَطْفِ وَالْمَحَبَّةِ، وَالْإِكْرَامِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّهْذِيبِ؛ لِأَنَّهُمْ قُوَّةٌ لِلْأُمَّةِ إِنْ صَلَحُوا.

أَمَّا إِذَا لَمْ تَقُومُوا لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَتَعْتَنُوا بِحَالِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَنْشَئُونَ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ عَدَوَاتٌ مُسْتَمِرَّةٌ وَنُفُورٌ مُسْتَحْكِمٌ، يَدْفَعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَكُونُوا عَنَاصِرَ فَسَادٍ وَتَخْرِيبٍ فِي مُجْتَمَعِهِمْ؛ بِسَبَبِ حِرْمَانِهِمْ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ فِي طُفُولَتِهِمْ.

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ لِأَنْفُسِكُمْ وَأُمَّتِكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا عِلْمًا دَقِيقًا، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.(*).

وَجَعَلَ اللهُ فِي الْغَنَائِمِ حَقًّا لِلْيَتَامَى، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وَاعْلَمُوا -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- أَنَّ الَّذِي ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ بِقَهْرٍ وَغَلَبَةٍ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ مِنَ الْغَنِيمَةِ، قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، فَقَدْ ثَبَتَ وَتَقَرَّرَ أَنَّ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِهِ لِلْمُقَاتِلِينَ الَّذِينَ حَضَرُوا الْمَعْرَكَةَ، وَأَحْرَزُوا أَمْوَالَ الْكُفَّارِ، وَأَنَّ الْخُمُسَ الْبَاقِيَ يُجَزَّأُ لِخَمْسَةِ أَصْنَافٍ:

الْأَوَّلُ: للهِ وَلِلرَّسُولِ، فَيُجْعَلُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ.

وَالثَّانِي: لِأَقَارِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [النساء: ١٢٧].

وَالثَّالِثُ: لِأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ فُقَرَاءُ.

وَالرَّابِعُ: لِلْمَسَاكِينِ الْمُتَعَرِّضِينَ لِلْعَطَاءِ، الَّذِينَ يَسْأَلُونَ الصَّدَقَةَ.

وَالْخَامِسُ: لِلْمُسَافِرِ سَفَرًا مُبَاحًا، وَلَيْسَ لَهُ مَا يَقْطَعُ بِهِ مَسَافَةَ سَفَرِهِ.(*).

* **وَهَذِهِ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الْبِرِّ وَالرِّفْقِ الْمُجْتَمَعِيِّ بِالْيَتَامَى، وَثَمَرَاتُهَا؛ فَقَدْ قَالَ** اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].

وَإِذَا حَضَرَ قِسْمَةَ الْمِيرَاثِ الْقَرَابَةُ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيبٌ مَفْرُوضٌ مِنَ الْمِيرَاثِ، أَوْ حَضَرَهَا مَنْ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ صِغَارٌ، أَوْ مَنْ لَا مَالَ لَهُمْ، فَأَعْطُوهُمْ مِنَ الْمَالِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ؛ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّرْضِيَةِ، وَجَبْرِ الْخَاطِرِ.

وَلَا تَتَبَرَّمُوا وَتَتَضَايَقُوا إِذَا حَضَرَ مَنْ لَيْسَ لَهُ فِي الْمَالِ نَصِيبٌ مَفْرُوضٌ، وَلَا تُسِيئُوا إِلَيْهِمْ بِقَوْلٍ، أَوْ تَجْرَحُوا عِزَّتَهُمْ بِكَلِمَةٍ، وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا حَسَنًا، وَلَا تُتْبِعُوا الْعَطِيَّةَ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ.

وَفِي تَحْقِيقِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ تَرَابُطٌ اجْتِمَاعِيٌّ عَظِيمٌ، وَتَوْثِيقٌ لِوَشَائِجِ الْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ، وَتَعْمِيقٌ لِخُلُقِ الرَّحْمَةِ بِالضُّعَفَاءِ فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ.(*/٢).

❊❊❊

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الأنفال: ٤١].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [النساء: ٨].

رِعَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْيَتِيمِ وَالْكَسِيرِ وَالضَّعِيفِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ سَلَامَةُ الصُّدُورِ، وَسَخَاوَةُ النَّفْسِ، وَالنَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، وَبِهَذِهِ الْخِصَالِ بَلَغَ الذُّرَىٰ مَنْ بَلَغَ.

سَلَامَةُ الصَّدْرِ.. سَخَاوَةُ النَّفْسِ.. النَّصِيحَةُ لِلْأُمَّةِ، وَبَذْلُ النَّفْسِ لِلْمُسْلِمِينَ، كَمَا كَانَ نَبِيُّنَا الْأَمِينُ ﷺ فِي حَاجَةِ الْمَرْأَةِ الْمِسْكِينَةِ وَالضَّعِيفِ.

كَانَ فِي حَاجَةِ الْكَسِيرِ.. كَانَ فِي حَاجَةِ الْحَسِيرِ.. كَانَ فِي حَاجَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُعْوزِينَ.. كَانَ فِي حَاجَةِ الثَّكَالَىٰ وَالْأَرَامَلِ وَالْمَسَاكِينِ، يَبْذُلُ نَفْسَهُ، وَتَأْخُذُ الْجَارِيَةُ بِكُمِّهِ بِيَدِهِ، تَسِيرُ مَعَهُ فِي أَيِّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ شَاءَتْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهَا ﷺ(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٤٨٩، رقم (٦٠٧٢)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ**».

=

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْضِي حَاجَاتِ الْخَلْقِ، وَذَلِكَ حِينَ حَطَمَهُ النَّاسُ(١).(*).

وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي رَحْمَتِهِ يَمْسَحُ عَلَىٰ رَأْسِ الْيَتِيمِ.(*/٢).

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ أَدْرَكْتُ عَهْدًا كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ يَحُثُّونَ أَهَالِيَهُمْ عَلَىٰ خِدْمَةِ الْيَتِيمِ، وَالْمِسْكِينِ وَالْجَارِ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ وُجِدَ بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانٌ ضَعُفَ فِيهِ الْوَازِعُ الدِّينِيُّ، وَكَثُرَ فِيهِ الْمَالُ مَعَ الشُّحِّ الْمُطَاعِ، وَفَسَدَتْ فِيهِ الْأَخْلَاقُ، وَقَلَّ فِيهِ أَهْلُ الْحَمِيَّةِ وَالدِّينِ!!(*/٣).

=

وفي رواية لابن ماجه في «**السنن**»: ٢/ ١٣٩٨، رقم (٤١٧٧) بلفظ: «**إِنْ كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهَا حَتَّىٰ تَذْهَبَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَتِهَا**».

(١) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٥٠٦، رقم (٧٣٢)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: «نَعَمْ، بَعْدَ مَا حَطَمَهُ النَّاسُ».
يُقَالُ: (حَطَمَ فُلَانًا أَهْلَهُ): إِذَا كَبُرَ فِيهِمْ، كَأَنَّهُ لَمَّا حَمَلَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ صَيَّرُوهُ شَيْخًا مَحْطُومًا، انظر: شرح «**صحيح مسلم**» للنووي: ٦/ ١٣.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَظْلِمْ فِيهِ نَفْسَكَ» - الْجُمُعَةُ ٣ مِنْ رَجَب ١٤٣٠هـ/ ٢٦-٦-٢٠٠٩م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «عِيشُوا لِلْآخِرَةِ!» - الْأَرْبِعَاءُ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٨هـ/ ١٩-١٢-٢٠٠٧م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ (ص٧٢٦).

عَبْدَ اللهِ! كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ..(*).

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» - بَابٌ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ (ص٧١٧).

خُطُورَةُ الشَّائِعَاتِ

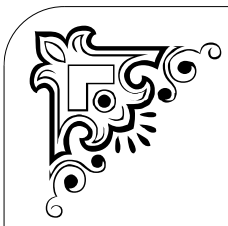

الشَّائِعَاتُ سِلَاحُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُغْرِضِينَ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

«فَقَدْ تَوَعَّدَ اللهُ جَلَّوَعَلَا أَهْلَ الشَّرِّ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٦٠]؛ أَيْ: مَرَضُ شَكٍّ أَوْ شَهْوَةٍ.

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ أَيْ: الْمُخَوِّفُونَ الْمُرْهِبُونَ الْأَعْدَاءَ، الْمُتَحَدِّثُونَ بِكَثْرَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ وَضَعْفِ الْمُسْلِمِينَ.

وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَعْمُولَ الَّذِي يَنْتَهُونَ عَنْهُ؛ لِيَعُمَّ ذَلِكَ كُلَّ مَا تُوحِي بِهِ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهِمْ، وَتُوَسْوِسُ بِهِ، وَتَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ:

مِنَ التَّعْرِيضِ بِسَبِّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَالْإِرْجَافِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَتَوْهِينِ قُوَاهُمْ، وَالتَّعَرُّضِ لِلْمُؤْمِنَاتِ بِالسُّوءِ وَالْفَاحِشَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاصِي الصَّادِرَةِ مِنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ أَيْ: لَنَأْمُرَنَّكَ بِعُقُوبَتِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَلَنُسَلِّطَنَّكَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ، لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِكَ، وَلَيْسَ لَهُمْ قُوَّةٌ وَلَا امْتِنَاعٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠] أَيْ: لَا يُجَاوِرُونَكَ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا قَلِيلًا، بِأَنْ تَقْتُلَهُمْ أَوْ تَنْفِيَهُمْ.

وَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ لِنَفْيِ أَهْلِ الشَّرِّ، الَّذِينَ يُتَضَرَّرُ بِإِقَامَتِهِمْ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْسَمُ لِلشَّرِّ، وَأَبْعَدُ مِنْهُ، وَيَكُونُونَ ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]؛ أَيْ: مُبْعَدِينَ حَيْثُ وُجِدُوا، لَا يَحْصُلُ لَهُمْ أَمْنٌ، وَلَا يَقَرُّ لَهُمْ قَرَارٌ، يَخْشَوْنَ أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُحْبَسُوا أَوْ يُعَاقَبُوا»(١).

إِنَّ الْأَرَاجِيفَ وَالشَّائِعَاتِ الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ مَصَادِرَ شَتَّىٰ، وَمَنَافِذَ مُتَعَدِّدَةٍ إِنَّمَا تَسْتَهْدِفُ التَّآلُفَ وَالتَّكَاتُفَ، وَتَسْعَىٰ إِلَىٰ إِثَارَةِ النَّعَرَاتِ وَالْأَحْقَادِ، وَنَشْرِ الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ، وَتَرْوِيجِ السَّلْبِيَّاتِ، وَتَضْخِيمِ الْأَخْطَاءِ.

الْإِشَاعَاتُ وَالْأَرَاجِيفُ سِلَاحٌ بِيَدِ الْمُغْرِضِينَ وَأَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَعْدَاءِ وَالْعُمَلَاءِ، يَسْلُكُهُ أَصْحَابُهُ؛ لِزَعْزَعَةِ الثَّوَابِتِ، وَهَزِّ الصُّفُوفِ، وَخَلْخَلَةِ تَمَاسُكِهَا.

وَالْمُرْجِفُونَ: هُمُ الَّذِينَ يَنْشُرُونَ الشَّائِعَاتِ الْكَاذِبَةَ، أَوْ يُبَالِغُونَ فِي تَعْظِيمِ قُوَّةِ الْأَعْدَاءِ وَقُدُرَاتِهِمْ، وَاسْتِحَالَةِ هَزِيمَتِهِمْ، وَكَسْرِ شَوْكَتِهِمْ؛ مِنْ أَجْلِ تَخْذِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَخْوِيفِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ.

---

(١) «تَفْسِيرُ السَّعْدِيِّ» (ص٦٧١).

وَقَدْ لَعَنَهُمُ اللهُ حَيْثُمَا وُجِدُوا، وَتَوَعَّدَهُمْ بِأَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ مَنْ يَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُمْ، وَيَقْطَعَ دَابِرَهُمْ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ جَلَّوَعَلَا أَنَّ هَذَا هُوَ دَيْدَنُ الْمُنَافِقِينَ فِي الْمُوَاجَهَاتِ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَحَذَّرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ السَّمَاعِ لَهُمْ، وَتَصْدِيقِهِمْ، وَإِشَاعَةِ تَخْوِيفَاتِهِمْ وَأَرَاجِيفِهِمْ؛ فَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠- ٦١].

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا كَاشِفًا حَقِيقَةَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَمُبَيِّنًا أَثَرَهُمْ فِي الْإِرْجَافِ وَالتَّخْوِيفِ، وَالتَّعْوِيقِ وَالتَّخْذِيلِ، وَنَشْرِ الْفِتْنَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْوَاحِدِ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ﴾ [التوبة: ٤٧].

فَبَيَّنَ أَنَّ وُجُودَهُمْ فِي صَفِّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا شَرًّا وَفَسَادًا، وَضَعْفًا وَهَوَانًا، وَفِتْنَةً وَفُرْقَةً.

وَيَعْظُمُ الْبَلَاءُ حِينَ يَكُونُ فِي الْمُسْلِمِينَ جَهَلَةٌ سُذَّجٌ، يَسْمَعُونَ لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الْمَفْتُونِينَ، فَيَتَأَثَّرُونَ بِإِشَاعَاتِهِمْ، وَيَسْتَجِيبُونَ لِتَخْوِيفَاتِهِمْ، وَيُصْبِحُونَ أَبْوَاقًا لَهُمْ، وَبَبَّغَاوَاتٍ يُرَدِّدُونَ أَرَاجِيفَهُمْ، وَيَنْشُرُونَ فِتَنَهُمْ؛ لِهَذَا قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾.

فَيَتَوَلَّدُ مِنْ سَعْيِ أُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ، وَقَبُولِ هَؤُلَاءِ السَّاذَجِينَ مِنَ الشَّرِّ وَالْبَلَاءِ، وَتَوْهِينِ عَزَائِمِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِرْعَابِهِمْ مَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَلَاءِ عَلَىٰ أُمَّتِهِمْ، وَأَكْبَرِ الْمَدَدِ لِأَعْدَائِهِمْ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ/ ٦-٥-٢٠١٦م.

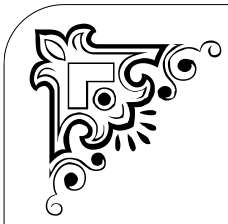

خُطُورَةُ الْكَذِبَةِ تَبْلُغُ الْآفَاقَ

إِنَّ مِنْ أَدَلِّ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ قِيمَةِ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ ذَلِكَ الْجُزءُ مِنْ حَدِيثِ الْمَنَامِ الطَّوِيلِ، الَّذِي بَيَّنَ فِيهِ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ جَزَاءَ الرَّجُلِ يَكذِبُ الْكِذبَةَ فَتَطِيرُ كُلَّ مَطَارٍ، وَتَسِيرُ كُلَّ مَسَارٍ.

وَيَظُنُّ الْمِسْكِينُ أَنَّهُ بِمَنْأَىٰ مِنْ عَذَابِ اللهِ ﷻ! وَأَنَّ الْكَلِمَةَ لَا قِيمَةَ لهَا وَلَا وَزَنَ، وَهِيَ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ!

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١) **عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ** رضي الله عنه **قَالَ:** كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟**».

قَالَ: فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدٌ، قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا، فَقَالَ: «**هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**».

قُلْنَا: لَا.

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رقم ١٣٨٦) وَمَوَاضِعَ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (رقم ٢٢٧٥) مُخْتَصَرًا.

قَالَ: «**لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ** -وَالْكَلُّوبُ: الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُنْشَلُ بِهَا اللَّحْمُ وَيُعَلَّقُ- **يُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُهُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ...**».

ثُمَّ تَعَدَّدَتِ الْمَرَائِي، وَجَاءَ التَّأْوِيلُ.

قَالَ ﷺ: «**قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ: فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ؛ فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيتَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

«**رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُدْخِلُه فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُهُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ**»!

هَذَا جَزَاءُ الْكَذَّابِ، يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَعنِىٰ: هَذَا هُوَ عَذَابُهُ فِي الْبَرْزَخِ.

فَانْظُر إِلَىٰ هَذَا الْعَذَابِ -هُدِيتَ-، كَيْفَ تَنَاوَلَ مِنَ الْكَذَّابِ آلَةَ كَذِبِه، وَمَوْضِعَ إِفْكِهِ؟!!

وَكَيْفَ يُشَقُّ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، ثُمَّ يُثَنَّىٰ بِالْآخَرِ، فَيَلْتَئِمُ الْأَوَّلُ، فَيُعَادُ عَلَيْهِ بِالشَّقِّ كَمَا صُنِعَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَهَكَذَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ!!

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ[١]: «**فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّىٰ يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَىٰ...**».

وَفِي تَأْوِيلِهَا: «**أَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ**».

هَذَا جَزَاءُ مَنْ كَذَبَ الْكَذِبَةَ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ!

هَذَا جَزَاءُ مَا أَتَىٰ، وَكِفَاءُ مَا صَنَعَ، فَمَنْ لَا يَقْدُرُ الْكَلِمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْرَهَا؟!!

وَمَنْ لَا يَعْرِفُ لِلْكَلِمَةِ بَعْدَ ذَلِكَ شَأْنَهَا؟!![*].

«وَأَكْثَرُ الَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ مَعَ الشَّبَكَةِ الْعَنْكَبُوتِيَّةِ هُمْ دَاخِلُونَ -إِنْ شَاءَ اللهُ- فِي هَذَا الْوَعِيدِ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَأَكْثَرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ، بَلْ جُلُّهُمْ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ جَلَّوَعَلَا-؛ لِأَنَّهُ يَنْدُرُ أَنْ تَجِدَ رَجُلًا صَادِقًا يَتَعَامَلُ مَعَ شَبَكَةِ الْمَعْلُومَاتِ

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (رقم٧٠٤٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَب ١٤٣٧هـ/ ٢٩-٤-٢٠١٦م.

تَعَامُلًا يُرْضِي اللهَ تَعَالَىٰ، لَا تَنْزَلِقُ قَدَمُهُ، وَلَا يَزِلُّ بَصَرُهُ وَلَا سَمْعُهُ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ»(١).(*)

ﮋﮊﮊﮊﮌ

(١) شَرْحُ شَيْخِنَا الدكتور أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان عَلَىٰ «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» -دَارُ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ: المنوفية، الطبعة الأولىٰ (١٤٣٦هـ)- (٢/ ١٤٦٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ/ ٦-٥-٢٠١٦م.

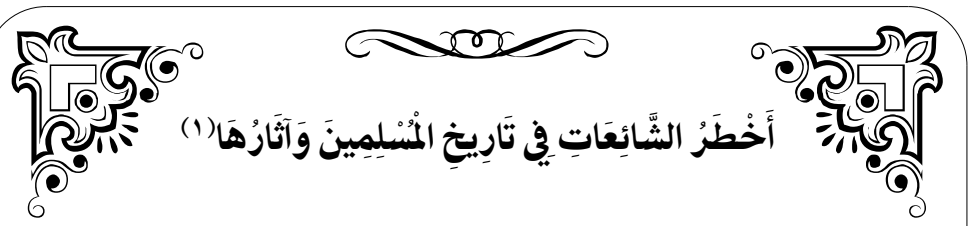

أَخْطَرُ الشَّائِعَاتِ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ وَآثَارُهَا(١)

عِبَادَ اللهِ! مَنْ نَظَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ خَاصَّةً، وَفِي التَّارِيخِ عَامَّةً؛ يَعْلَمُ يَقِينًا مَا لِلشَّائِعَاتِ مِنْ خَطَرٍ عَظِيمٍ، وَأَثَرٍ بَلِيغٍ، فَالشَّائِعَاتُ تُعْتَبَرُ مِنْ أَخْطَرِ الْأَسْلِحَةِ الْفَتَّاكَةِ وَالْمُدَمِّرَةِ لِلْمُجْتَمَعَاتِ وَالْأَشْخَاصِ.

وَكَمْ أَقْلَقَتِ الْإِشَاعَةُ مِنْ أَبْرِيَاءَ، وَحَطَّمَتْ عُظَمَاءَ، وَهَزَمَتْ مِنْ جُيُوشٍ، وَهَدَمَتْ مِنْ وَشَائِجَ، وَتَسَبَّبَتْ فِي جَرَائِمَ، وَفَكَّكَتْ مِنْ عَلَاقَاتٍ وَصَدَاقَاتٍ، وَأَخَّرَتْ مِنْ سَيْرِ أَقْوَامٍ!!

لِخَطَرِهَا وَجَدْنَا الدُّوَلَ تَهْتَمُّ بِهَا، وَالْحُكَّامَ يَرْقُبُونَهَا، مُعْتَبِرِينَ إِيَّاهَا مِقْيَاسَ مَشَاعِرِ الشَّعْبِ نَحْوَ الْإِدَارَةِ صُعُودًا وَهُبُوطًا، وَبَانِينَ عَلَيْهَا تَوَقُّعَاتِهِمْ لِأَحْدَاثٍ مَا، سَوَاءٌ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الْمَحَلِّيِّ أَوِ الْمُسْتَوَىٰ الْخَارِجِيِّ.

وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «مُقَدِّمَةِ الصَّحِيحِ»(٢).

---

(١) مَقَالُ «التَّحْذِيرُ مِنْ نَشْرِ الشَّائِعَاتِ»، بِتَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ.

(٢) مقدمة «صحيح مسلم» (رَقْم٥)، وأَخْرَجَهُ أَيْضًا أَبُو دَاوُدَ فِي «السنن» (رَقْم٤٩٩٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيّ فِي «الصحيحة» (٥/ رَقْم٢٠٢٥).

=

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»(١).

وَأَثَرُ الشَّائِعَاتِ سَيِّئٌ جِدًّ سَيِّئٌ، وَيَنْتُجُ عَنْهَا غَالِبًا آثَارٌ أُخْرَىٰ أَسْوَءُ مِنْهَا، وَفِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّائِعَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ نَتَائِجُهَا سَيِّئَةً فِي ظَاهِرِهَا قِصَصٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

* **الشَّائِعَةُ الَّتِي انْتَشَرَتْ أَنَّ كُفَّارَ قُرَيشٍ أَسْلَمُوا**، وَذَلِكَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ الْأُولَىٰ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، فَكَانَ مِنْ نَتِيجَتِهَا أَنْ رَجَعَ عَدَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَقَبْلَ دُخُولِهِمْ عَلِمُوا أَنَّ الْخَبَرَ كَذِبٌ.

فَدَخَلَ مِنْهُمْ مَنَ دَخَلَ، وَعَادَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ مَنْ عَادَ، فَأَمَّا الَّذِينَ دَخَلُوا فَأَصَابَ بَعضَهُمْ مِنْ عَذَابِ قُرَيْشٍ مَا كَانَ هُوَ فَارًّا مِنْهُ، فَللهِ الْأَمْرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

* **وَفِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، عِنْدَمَا أَشَاعَ الْكَافِرُونَ أَنَّ الرَّسُولَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ **قُتِلَ**، فَتَّ ذَلِكَ فِي عَضُدِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ أَلْقَىٰ السِّلَاحَ، وَتَرَكَ الْقِتَالَ وَاسْتَحْسَرَ.

=

والْحَدِيثُ رُوِيَ أَيْضًا بمثله عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزاد: «...، **وكفىٰ بالمرء من الشح أن يقول: آخذ حقي لا أترك منه شيئًا**»، وهو قول عمرَ بنِ الخطاب، وابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) أَخْرَجَهُ مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١١، باب٣)، بإسناد صحيح، عن ابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ لِي مَالِكٌ: «**اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**».

*** وَأَدَّتِ الشَّائِعَاتُ الْكَاذِبَةُ ضِدَّ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه إِلَىٰ تَجَمُّعِ أَخْلَاطٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَدَهْمَاءِ النَّاسِ وَجَهَلَتِهِمْ،** وَأَصْبَحَتْ لَهُمْ شَوْكَةٌ، وَقُتِلَ عَلَىٰ إِثْرِهَا خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ حِصَارِهِ فِي بَيْتِهِ، وَقَطْعِ الْمَاءِ عَنْهُ.

بَلْ كَانَتْ مِنْ آثَارِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ:

* أَنْ قَامَتْ حُرُوبٌ بَيْنَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ؛ كَمَعْرَكَةِ (الْجَمَلِ) وَ(صِفِّينَ)، وَخَرَجَتْ عَلَىٰ إِثْرِهَا الْخَوارِجُ، وَتَزَنْدَقَتِ الشِّيعَةُ، وَتَرَتَّبَ عَلَيْهَا ظُهُورُ الْمُرْجِئَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ الْأُولَىٰ.

ثُمَّ انْتَشَرَتِ الْبِدَعُ بِكَثْرَةٍ، وَظَهَرَتْ فِتَنٌ وَبِدَعٌ وَقَلَاقِلُ كَثِيرَةٌ، مَا تَزَالُ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ تُعَانِي مِنْ آثَارِهَا وَنَتَائِجِهَا إِلَىٰ الْيَوْمِ!

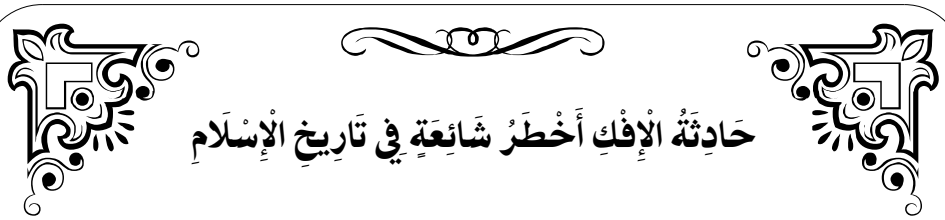

حَادِثَةُ الْإِفْكِ أَخْطَرُ شَائِعَةٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ

فِي تَارِيخِ الْمُسلِمِينَ -بَلْ وَفِي سِيرَةِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ- حَادِثَةٌ عَظِيمَةٌ لهَا ثِقَلُهَا الكَبِيرُ، وَآثَارُهَا الحَمِيدَةُ فِي نَتَائجِهَا، وَهِيَ حَادِثَةُ الإِفْكِ.

وَلَسْنَا مُبَالِغِينَ حِينَ نَقُولُ: إِنَّ مَا وَاجَهَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، هُوَ حَدَثُ الْأَحْدَاثِ فِي تَارِيخِهِ ﷺ، فَلَمْ يُمْكَرْ بِالْمُسْلِمِينَ مَكْرٌ أَشَدُّ مِنْ تِلْكَ الْوَاقِعَةِ، وَهِيَ مُجَرَّدُ فِرْيَةٍ وَإِشَاعَةٍ مُخْتَلَقَةٍ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ كَذِبَهَا.

لَكِنَّهَا لَوْلَا عِنَايَةُ اللهِ كَانَتْ قَادِرَةً عَلَىٰ أَنْ تَعْصِفَ بِالْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، وَلَا تُبْقِي عَلَىٰ نَفْسٍ مُسْتَقِرَّةٍ مُطْمَئِنَّةٍ.

وَلَقَدْ مَكَثَ مُجتَمَعُ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ بِأَكْمَلِهِ شَهْرًا كَامِلًا وَهُوَ يَصْطَلِي نَارَ تِلْكَ الْفِرْيَةِ، وَيَتَعَذَّبُ ضَمِيرُهُ، وَتَعْصِرُهُ الْإِشَاعَةُ الْهَوْجَاءُ وَالْفِرْيَةُ الصَّلْعَاءُ، حَتَّىٰ نَزَلَ الْوَحْيُ؛ لِيَضَعَ حَدًّا لِتِلْكَ الْمَأْسَاةِ الْمُفْظِعَةِ، وَلِيَكُونَ دَرْسًا تَرْبَوِيًّا رَائِعًا لِلْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَلِكُلِّ مُجْتَمَعٍ مُسْلِمٍ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [النور: ١١].

وَلِلْإِشَاعَةِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ تَفْتِيتِ الصَّفِّ الْوَاحِدِ وَتَمْزِيقِهِ، وَتَفْتِيتِ الرَّأْيِ الْوَاحِدِ وَبَعْثَرَتِهِ وَتَوزِيعِهِ؛ فَالنَّاسُ أَمَامَهَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ، وَمُتَرَدِّدٍ وَمُتَبَلْبِلٍ، فَغَدَا بِهَا الْمُجْتَمَعُ الْوَاحِدُ وَالْفِئَةُ الْوَاحِدَةُ فِئَاتٍ مُتَعَدِّدَةً.

لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي أَوَائِلِ «سُورَةِ النُّورِ» آيَاتٍ فِي تَعْظِيمِ الرَّمْيِ بِالزِّنَا عُمُومًا، وَصَارَ ذَلِكَ كَأَنَّهُ مُقَدِّمَةٌ لِلْقِصَّةِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَىٰ أَشْرَفِ النِّسَاءِ أُمِّنَا أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ الْمَشْهُورَةِ الثَّابِتَةِ فِي الصِّحَاحِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ(١).

وَحَاصِلُهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ(٢) وَمَعَهُ زَوْجُهُ عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، فَانْقَطَعَ عِقْدُهَا، فَانْحَبَسَتْ فِي طَلَبِهِ وَرَحَلُوا، وَقَدْ رَحَّلُوا جَمَلَهَا وَهَوْدَجَهَا، وَلَمْ يَفْقِدُوهَا؛ لِخِفَّةِ جِسْمِهَا حِينَئِذٍ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ الْجَيْشُ رَاحِلًا، وَجَاءَتْ مَكَانَهُمْ، وَعَلِمَتْ أَنَّهُمْ إِذَا فَقَدُوهَا رَجَعُوا إِلَيْهَا، فَاسْتَمَرُّوا فِي مَسِيرِهِمْ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ، وَهُوَ مِنْ أَفَاضِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ عَرَّسَ فِي أُخْرَيَاتِ الْقَوْمِ وَنَامَ، فَرَأَىٰ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَعَرَفَهَا، فَأَنَاخَ

(١) أَخْرَجَهُا الْبُخَارِيّ فِي «صحيحه» (رَقْم ٢٦٦١) وَمَوَاضِعَ، ومسلم فِي «صحيحه» (رَقْم ٢٧٧٠)، من حديث: عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) هِيَ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ.

رَاحِلَتَهُ، فَرَكِبَتْهَا مِنْ دُونِ أَنْ يُكَلِّمَهَا أَوْ تُكَلِّمَهُ، ثُمَّ جَاءَ يَقُودُ بِهَا بَعْدَ مَا نَزَلَ الْجَيْشُ فِي الظَّهِيرَةِ.

فَلَمَّا رَأَىٰ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ -الَّذِينَ فِي صُحْبَةِ الْأَمِينِ ﷺ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ- مَجِيءَ صَفْوَانَ بِهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ، أَشَاعَ مَا أَشَاعَ، وَوَشِيَ الْحَدِيثَ، وَتَلَقَّفَتْهُ الْأَلْسُنُ، حَتَّىٰ اغْتَرَّ بِذَلِكَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَارُوا يَتَنَاقَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ.

وَانْحَبَسَ الْوَحْيُ مُدَّةً طَوِيلَةً عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبَلَغَ الْخَبَرُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ، فَحَزِنَتْ حُزْنًا شَدِيدًا، فَأَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ فِي أَوَّلِ «سُورَةِ النُّورِ»، وَوَعَظَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعْظَمَ ذَلِكَ، وَوَصَّاهُمْ بِالْوَصَايَا النَّافِعَةِ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور: ١١] أَيْ: بِالْكَذِبِ الشَّنِيعِ، وَهُوَ رَمْيُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ أَيْ: جَمَاعَةٌ مُنْتَسِبُونَ إِلَيْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ فِي إِيمَانِهِ، لَكِنَّهُ اغْتَرَّ بِتَرْوِيجِ الْمُنَافِقِينَ، وَمِنْهُمُ الْمُنَافِقُ.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لِمَا تَضَمَّنَ ذَلِكَ تَبْرِئَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَنَزَاهَتَهَا، وَالتَّنْوِيهَ بِذِكْرِهَا، حَتَّىٰ تَنَاوَلَ عُمُومَ الْمَدحِ سَائِرَ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَلِمَا تَضَمَّنَ مِنْ بَيَانِ الْآيَاتِ الْمُضْطَرِّ إِلَيْهَا الْعِبَادُ، الَّتِي مَا زَالَ الْعَمَلُ بِهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَكُلُّ هَذَا خَيْرٌ عَظِيمٌ، لَوْلَا مَقَالَةُ أَهْلِ الْإِفْكِ لَمْ يَحصُلْ ذَلِكَ.

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا جَعَلَ لَهُ سَبَبًا، وَلِذَلِكَ جَعَلَ الْخِطَابَ عَامًّا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّ قَدْحَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ كَقَدْحٍ فِي أَنْفُسِهِمْ.

فَفِيهِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَىٰ مَصَالِحِهِمْ، كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ.

وَالْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَكَمَا أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقْدَحَ أَحَدٌ فِي عِرْضِهِ، فَلْيَكْرَهْ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقْدَحَ فِي أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ، وَمَا لَم يَصِلِ الْعَبْدُ إِلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ، فَإِنَّهُ مِنْ نَقْصِ إِيمَانِهِ وَعَدَمِ نُصْحِهِ.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ﴾: وَهَذَا وَعِيدٌ لِلَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ، وَأَنَّهُمْ سَيُعَاقَبُونَ عَلَىٰ مَا قَالُوا مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ حَدَّ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ جَمَاعَةً -أَيْ: أَقَامَ عَلَيْهِمْ حَدَّ الْقَذْفِ-.

﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ أَيْ: مُعْظَمَ الْإِفْكِ، وَهُوَ الْمُنَافِقُ الْخَبِيثُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ -لَعَنَهُ اللهُ-، ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]: أَلَا وَهُوَ الْخُلودُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

ثُمَّ أَرْشَدَ اللهُ عِبَادَهُ عِنْدَ سَمَاعِ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ، فَقَالَ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أَيْ: ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ بَعضُهُمْ بِبَعْضٍ خَيْرًا، وَهُوَ السَّلَامَةُ مِمَّا رُمُوْا بِهِ، وَأَنَّ مَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ الْمَعْلُومِ يَدْفَعُ مَا قِيلَ فِيهِمْ مِنَ الْإِفْكِ الْبَاطِلِ.

﴿وَقَالُوا۟﴾ بِسَبَبِ ذَلِكَ الظَّنِّ.

﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢] أَيْ: هَذَا كَذِبٌ وَبَهْتٌ مِنْ أَعْظَمِ الْأَشْيَاءِ وَأَبْيَنِهَا، فَهَذَا مِنَ الظَّنِّ الْوَاجِبِ حِينَ سَمَاعِ الْمُؤْمِنِ عَنْ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ، وَأَنْ يُبَرِّءَهُ بِلِسَانِهِ، وَيُكَذِّبَ الْقَائِلَ فِيمَا افْتَرَاهُ.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣] أَيْ: هَلَّا جَاءَ الرَّامُونَ عَلَىٰ مَا رَمَوْا بِهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ -أَيْ: عُدُولٍ مَرْضِيِّينَ-.

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: وَإِنْ كَانُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَدْ تَيَقَّنُوا ذَلِكَ، فَإِنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِي حُكْمِ اللهِ؛ لِأَنَّهُ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ التَّكَلُّمَ بِذَلِكَ مِنْ دُونِ أَرْبَعَةِ شُهُودٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، وَلَمْ يَقُلْ: «فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ».

وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ تَعْظِيمِ حُرْمَةِ عِرْضِ الْمُسْلِمِ، بِحَيْثُ لَا يَجُوزُ الْإِقْدَامُ عَلَىٰ رَمْيِهِ مِنْ دُونِ نِصَابِ الشَّهَادَةِ بِالصِّدْقِ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٤] بِحَيْثُ شَمِلَكُمْ إِحْسَانُهُ فِيهِمَا، فِي أَمْرِ دِينِكُمْ وَدُنْيَاكُمْ، ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾ أَيْ: خُضْتُمْ ﴿فِيهِ﴾: مِنْ شَأْنِ الْإِفْكِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤]؛ لِاسْتِحْقَاقِكُمْ ذَلِكَ بِمَا قُلْتُمْ، وَلَكِنْ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتِهِ أَنْ شَرَعَ لَكُمُ التَّوْبَةَ، وَجَعَلَ الْعُقُوبَةَ مَطْهَرَةً لِلذُّنُوبِ.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥] أَيْ: تَلْقَفُونَهُ وَيُلْقِيهِ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَسْتَوْشُونَ حَدِيثَهُ وَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: وَالْأَمْرَانِ مَحْظُورَانِ: التَّكَلُّمُ بِالْبَاطِلِ، وَالْقَوْلُ بِلَا عِلْمٍ.

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾: فَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَ بَعضَكُمْ يُقْدِمُ عَلَيْهِ، ثُمَّ تَابُوا مِنْهُ -يَعْنِي: مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُؤْمِنًا- وَقَدْ تَطَهَّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ.

﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]: وَهَذَا فِيهِ الزَّجْرُ الْبَلِيغُ عَنْ تَعَاطِي بَعْضِ الذُّنُوبِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّهَاوُنِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِهَا.

فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يُفِيدُهُ حُسْبَانُهُ شَيْئًا، وَلَا يُخَفِّفُ مِنْ عُقُوبَتِهِ الذَّنْبَ، بَلْ يُضَاعِفُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ الْعُقُوبَةَ؛ لِاسْتِخْفَافِهِ بِمَا أَمَر اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِأَلَّا يَقْرَبَ، فَيَسْهُلُ عَلَيْهِ عِنْدَ الِاسْتِخْفَافِ أَنْ يَقَعَ فِي الذَّنْبِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

وَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَخَافَ؛ لِأَنَّهُ بِنَظَرِ اللهِ ﷻ، يَرَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيُبْصِرُهُ، عَلَيْهِ أَنْ يَخَافَ أَنْ يَسْخَطَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِ؛ إِذْ يَرَاهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، فَيُسْقِطُهُ مِنْ نَظَرِهِ، فَلَا يَعْتَبِرُهُ أَبَدَ الْآبِدِينَ.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [النور: ١٦] أَيْ: وَهَلَّا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَيْ: سَمِعْتُمْ كَلَامَ أَهْلِ الْإِفْكِ وَالْبَاطِلِ، ﴿قُلْتُم﴾: مُنْكِرِينَ لِذَلِكَ، مُعْظِمِينَ لِأَمْرِهِ.

﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ أَيْ: مَا يَنْبَغِي لَنَا، وَمَا يَلِيقُ بِنَا الْكَلَامُ بِهَذَا الْإِفْكِ الْمُبِينِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَمْنَعُهُ إِيمَانُهُ مِنَ ارْتِكَابِ الْقَبَائِحِ.

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أَيْ: تَنْزِيهًا لَكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَعَنْ أَنْ تَبتَلِيَ أَصْفِيَاءَكَ وَأَوْلِيَاءَكَ بِالْأُمُورِ الشَّنِيعَةِ.

﴿هَٰذَا بُهۡتَٰنٞ﴾ أَيْ: كَذِبٌ ﴿عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦].

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ﴾ [النور: ١٧] أَيْ: لِنَظِيرِهِ، مِنْ رَمْيِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْفُجُورِ.

فَاللهُ يَعِظُكُمْ وَيَنْصَحُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَنِعْمَ الْمَوَاعِظُ وَالنَّصَائِحُ مِنْ رَبِّنَا، فَيَجِبُ عَلَيْنَا مُقَابَلَتُهَا بِالْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالشُّكْرِ لَهُ، عَلَىٰ مَا بَيَّنَ لَنَا.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ١٧]: دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [النور: ١٨]: الْمُشْتَمِلَةَ عَلَىٰ بَيَانِ الْأَحْكَامِ، وَالْوَعْظِ وَالزَّجْرِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، يُوضِّحُهَا لَكُمْ تَوْضِيحًا جَلِيًّا.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٨] أَيْ: كَامِلُ الْعِلْمِ عَامُّ الْحِكْمَةِ، فَمِنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، أَنْ عَلَّمَكُمْ مِنْ عِلْمِهِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ رَاجِعًا لِمَصَالِحِكُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾ [النور: ١٩] أَيْ: الْأُمُورُ الشَّنِيعَةُ الْمُسْتَقْبَحَةُ، فَيُحِبُّونَ أَنْ تَشْتَهِرَ الْفَاحِشَةُ ﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مُوجِعٌ لِلْقَلْبِ وَالْبَدَنِ؛ وَذلِكَ لِغِشِّهِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَحَبَّةِ الشَّرِّ لَهُمْ، وَجَزَاءَتِه عَلَىٰ أَعْرَاضِهِمْ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْوَعِيدُ لِمُجَرَّدِ مَحَبَّةِ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ، وَاسْتِحْلَاءِ ذَلِكَ بِالْقَلْبِ، فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ مِنْ إِظْهَارِهِ، وَنَقْلِهِ، وَالْجِدِّ فِي إِفْشَائِهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؟!!

وَسَوَاءٌ كَانَتِ الْفَاحِشَةُ صَادِرَةً أَوْ غَيْرَ صَادِرَةٍ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصِيَانَةِ أَعْرَاضِهِمْ، كَمَا صَانَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِمَا يَقْتَضِي الْمُصَافَاةَ، وَأَنْ يُحِبَّ أَحَدُهُمْ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهَ لَهُ مَا يَكْرَهُهُ لِنَفْسِهِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]: فَلِذَلِكَ عَلَّمَكُمْ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَا تَجْهَلُونَهُ.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النور: ٢٠]: قَد أَحَاطَ بِكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾: عَلَيْكُمْ، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠]: لَمَا بَيَّنَ لَكُمْ هَذِهِ الْأَحْكَامَ وَالْمَواعِظَ، وَالْحِكَمَ الْجَلِيلَةَ، وَلَمَا أَمْهَلَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَلَكِنَّ فَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ وَصْفُهُ اللَّازِمُ أَثَّرَ لَكُمْ مِنَ الْخَيْرِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ مَا لَنْ تُحْصُوهُ أَوْ تَعُدُّوهُ.

وَلَمَّا نَهَىٰ عَنْ هَذَا الذَّنْبِ بِخُصُوصِهِ، نَهَىٰ عَنِ الذُّنُوبِ عُمُومًا فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النور: ٢١] أَيْ: طُرُقَهُ وَوَسَاوِسَهُ.

وَخُطُوَاتُ الشَّيْطَانِ يَدْخُلُ فِيهَا سَائِرُ الْمَعَاصِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْبَدَنِ.

وَمِنْ حِكْمَتِهِ تَعَالَىٰ أَنْ بَيَّنَ الْحُكْمَ، وَهُوَ النَّهْيُ عَنِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَالْحِكْمَةُ وَهِيَ بَيَانُ مَا فِي الْمَنْهِيِّ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ الْمُقْتَضِي وَالدَّاعِي لِتَرْكِهِ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أَيْ: الشَّيْطَانُ ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أَيْ: مَا

تَسْتَفْحِشُهُ الْعُقُولُ وَالشَّرَائِعُ مِنَ الذُّنُوبِ الْعَظِيمَةِ، مَعَ مَيْلِ بَعْضِ النُّفُوسِ إِلَيْهِ، ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ وَهُوَ: مَا تُنْكِرُهُ الْعُقُولُ وَلَا تَعْرِفُهُ.

فَالْمَعَاصِي الَّتِي هِيَ خُطُوَاتُ الشَّيْطَانِ لَا تَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ؛ فَنَهَىٰ اللهُ عَنْهَا الْعِبَادَ؛ نِعْمَةً مِنْهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَشْكُرُوهُ وَيَذْكُرُوهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ صِيَانَةٌ لَهُمْ عَنِ التَّدَنُّسِ بِالرَّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ، فَمِنْ إِحْسَانِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ نَهَاهُمْ عَنْهَا كَمَا نَهَاهُمْ عَنْ أَكْلِ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ وَنَحْوِهَا.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] أَيْ: مَا تَطَهَّرَ مِنَ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْعَىٰ هُوَ وَجُنْدُهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا وَتَحْسِينِهَا، وَالنَّفْسُ مَيَّالَةٌ إِلَىٰ السُّوءِ، أَمَّارَةٌ بِهِ.

زَكَا أَحَدٌ بِالتَّطَهُّرِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالنَّمَاءِ بِفِعْلِ الْحَسَنَاتِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاءَ يَتَضَمَّنُ الطَّهَارَةَ وَالنَّمَاءَ، وَلَكِنَّ فَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ أَوْجَبَا أَنْ يَتَزَكَّىٰ مِنْكُمْ مَنْ تَزَكَّىٰ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾: مَنْ يَعْلَمُ مِنْهُ أَنْ يَتَزَكَّىٰ بِالتَّزْكِيَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

---

(١) أَخْرَجَهُ مسلم في «صحيحه» (رَقْم٢٧٢٢)، من حديث: زَيْدِ بْنِ أَرْقَم رضي الله عنه، وهذا الدعاء روي مرفوعا أَيْضًا من رواية عائشةَ، وأبي هُريرَةَ، وَابنِ عباسٍ رضي الله عنهم.

﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ أَيْ: لَا يَحْلِفْ ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور: ٢٢].

كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الْخَائِضِينَ فِي الْإِفْكِ (مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ)، وَهُوَ قَرِيبٌ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَكَانَ مِسْطَحٌ فَقِيرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ لَا يُنْفِقَ عَلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ الَّذِي قَالَ.

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، يَنْهَاهُ عَنْ هَذَا الْحَلِفِ الْمُتَضَمِّنِ لِقَطْعِ النَّفَقَةِ عَنْهُ، وَيَحُثُّهُ عَلَىٰ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، وَيَعِدُهُ بِمَغْفِرَةِ اللهِ إِنْ غَفَرَ لَهُ، فَقَالَ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

إِذَا عَامَلْتُمْ عَبِيدَهُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، عَامَلَكُمْ بِذَلِكَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لَمَّا سَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ-: «بَلَىٰ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي»، فَرَجَّعَ النَّفَقَةَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ(١).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ النَّفَقَةِ عَلَىٰ الْقَرِيبِ، وَأَنَّهُ لَا تُتْرَكُ النَّفَقَةُ وَالْإِحْسَانُ بِمَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَلَوْ جَرَىٰ مِنْهُ مَا جَرَىٰ مِنْ أَهْلِ الْجَرَائِمِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْوَعِيدَ الشَّدِيدَ عَلَىٰ رَمْيِ الْمُحْصَنَاتِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣] أَيِ: الْعَفَائِفَ عَنِ الْفُجُورِ، ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: اللَّاتِي لَمْ يَخْطُرْ

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ من حديث: عائشة رضي الله عنها.

ذَلِكَ بِقُلُوبِهِنَّ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: وَاللَّعْنَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا عَلَىٰ ذَنْبٍ كَبِيرٍ، وَأَكَّدَ اللَّعْنَةَ بِأَنَّهَا مُتَوَاصِلَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الدَّارَيْنِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ٢٣]: وَهَذَا زِيَادَةٌ عَلَىٰ اللَّعْنَةِ، أَبْعَدَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ، وَأَحَلَّ بِهِمْ شَدِيدَ نِقْمَتِهِ، وَذَلِكَ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]: فَكُلُّ جَارِحَةٍ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا عَمِلَتْهُ، يُنْطِقُهَا الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يُمْكِنُهُ الْإِنْكَارَ، وَلَقَدْ عَدَلَ فِي الْعِبَادِ مَنْ جَعَلَ شُهُودَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥] أَيْ: جَزَاءَهُمْ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمُ الْجَزَاءَ الْحَقَّ، الَّذِي بِالْعَدْلِ وَالْقِسْطِ، يَجِدُونَ جَزَاءَهَا مُوَفَّرًا، لَمْ يَفْقِدُوا مِنْهَا شَيْئًا، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَيَعْلَمُونَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، فَيَعْلَمُونَ انْحِصَارَ الْحَقِّ الْمُبِينِ فِي رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَوْصَافُهُ الْعَظِيمَةُ حَقٌّ، وَأَفْعَالُهُ هِيَ الْحَقُّ، وَعِبَادَتُهُ هِيَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُهُ حَقٌّ، وَوَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ حَقٌّ، وَحُكْمُهُ الدِّينِيُّ وَالْجَزَائِيُّ حُقٌّ، وَرُسُلُهُ حَقٌّ، فَلَا ثَمَّ حَقٌّ إِلَّا فِي اللهِ وَمَا مِنَ اللهِ.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور: ٢٦] أَيْ: كُلُّ خَبِيثٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْكَلِمَاتِ وَالْأَفْعَالِ مُنَاسِبٌ لِلْخَبِيثِ، وَمُوَافِقٌ لَهُ، وَمُقْتَرِنٌ بِهِ،

وَمُشَاكِلٌ لَهُ، وَكُلُّ طَيِّبٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْكَلِمَاتِ وَالْأَفْعَالِ مُنَاسِبٌ لِلطَّيِّبِ، وَمُوَافِقٌ لَهُ، وَمُقْتَرِنٌ بِهِ، وَمُشَاكِلٌ لَهُ.

فَهَذِهِ كَلِمَةٌ عَامَّةٌ، وَحَصْرٌ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمِنْ أَعْظَمِ مُفْرَدَاتِهِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ -خُصُوصًا أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ، خُصُوصًا سَيِّدَهُمْ مُحَمَّدًا ﷺ، الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الطَّيِّبِينَ مِنَ الْخَلْقِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ- لَا يُنَاسِبُهُمْ -يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ- إِلَّا كُلُّ طَيِّبٍ مِنَ النِّسَاءِ.

فَالْقَدْحُ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِهَذَا الْأَمْرِ قَدْحٌ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِهَذَا الْإِفْكِ مِنْ قَصْدِ الْمُنَافِقِينَ.

فَمُجَرَّدُ كَوْنِهَا زَوْجَةً لِلرَّسُولِ ﷺ يُعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا طَيِّبَةً طَاهِرَةً مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْقَبِيحِ، فَكَيْفَ وَهِيَ هِيَ؟!!

صِدِّيقَةُ النِّسَاءِ، وَأَفْضَلُهُنَّ، وَأَعْلَمُهُنَّ، وَأَطْيَبُهُنَّ!

حَبِيبَةُ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الَّتِي لَمْ يَنْزِلِ الْوَحْيُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي لِحَافِ زَوْجَةٍ مِنْ زَوْجَاتِهِ سِوَاهَا -رَضِيَ اللهُ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِنَّ- كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

ثُمَّ صَرَّحَ بِذَلِكَ، بِحَيْثُ لَا يُبْقِي لِمُبْطِلٍ مَقَالًا، وَلَا لِشَكٍّ وَشُبْهَةٍ مَجَالًا، فَقَالَ: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦]: وَالْإِشَارَةُ إِلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

---

(١) «صحيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم٢٥٨١ و٣٧٧٥)، و«صحيح مسلم» (رَقْم٢٤٤١) مختصرا، من حديث: عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أَصْلًا، وَلِلْمُؤْمِنَاتِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ تَبَعًا لَهَا، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [النور: ٢٦] تَسْتَغْرِقُ الذُّنُوبَ، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] فِي الْجَنَّةِ، صَادِرٌ عَنِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ(١).(*).

❊❊❊

(١) «تفسير السعدي» (ص٥٦٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَب ١٤٣٧هـ/ ٢٩-٤-٢٠١٦م.

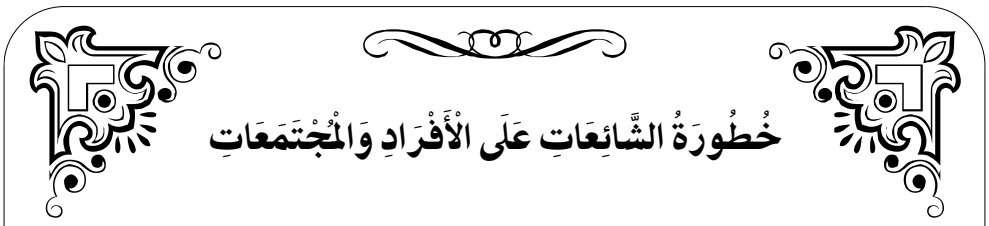

خُطُورَةُ الشَّائِعَاتِ عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ

إِنَّ الشَّائِعَاتِ تُخِلُّ بِالْأَمْنِ، وَتَجْلِبُ الْوَهَنَ، وَتُحَقِّقُ مُرَادَ الْأَعْدَاءِ فِي تَرْكِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَاسْتِضْعَافِهِمْ، وَكَسْرِ شَوْكَتِهِمْ وَتَيْئِيسِهِمْ، وَقَتْلِ رُوحِ الْمُقَاوَمَةِ فِي نُفُوسِهِمْ.

*** دَوْرُ الشَّائِعَاتِ الرَّئِيسُ فِي الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ؛ لِهَدْمِ الْمُجْتَمَعَاتِ:**

تُعَدُّ الْإِشَاعَاتُ مِنْ أَهَمِّ أَسَالِيبِ وَوَسَائِلِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا تُسْتَعْمَلُ بِفَاعِلِيَّةٍ وَقْتَ الْحَرْبِ، وَكَذَلِكَ وَقْتَ السِّلْمِ فِيمَا يُعْرَفُ بِالْحَرْبِ الْبَارِدَةِ، وَتَتَمَيَّزُ بِشِدَّةِ تَأْثِيرِهَا عَلَىٰ عَوَاطِفِ الْجَمَاهِيرِ، وَقُدْرَتِهَا الْكَبِيرَةِ عَلَىٰ الِانْتِشَارِ، وَفَاعِلِيَّتِهَا الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَبْدَأُ مِنْ وُصُولِهَا إِلَىٰ الْمَكَانِ الْمُوَجَّهَةِ إِلَيْهِ.

وَتَخْتَلِفُ الْإِشَاعَاتُ عَنِ الْأَسَالِيبِ الْأُخْرَىٰ فِي أَنَّ الْوَسِيلَةَ الَّتِي تَحْمِلُهَا وَتَنْقُلُهَا وَتَزِيدُ مِنْ حِدَّتِهَا هِيَ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْتَهْدَفُ نَفْسُهُ، فَمَا أَنْ تَصِلَ الْإِشَاعَةُ إِلَىٰ بَعْضِ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْتَهْدَفِ حَتَّىٰ يَقُومَ بِرِوَايَتِهَا وَتَرْوِيجِهَا إِلَىٰ كُلِّ مَنْ يَعْرِفُ.

بَلْ لَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ عِنْدَ حَدِّ الرِّوَايَةِ أَوِ النَّقْلِ فَقَطْ؛ يَتَعَدَّىٰ الْأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَنْقُلُ الْإِشَاعَةَ غَالِبًا مَا يُضِيفُ إِلَيْهَا، وَيُبَالِغُ فِيهَا.

وَرُبَّمَا اخْتَلَقَ أَجْزَاءً كَثِيرَةً مِنْ تَفَاصِيلِهَا، مِمَّا يَجْعَلُ الْفَائِدَةُ مِنَ الْإِشَاعَةِ أَعْظَمَ وَأَقْوَىٰ مِنْ أَيِّ وَسِيلَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِمُوَجِّهِ الْإِشَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجُمْهُورَ الْمُسْتَهْدَفَ قَدْ حَمَلَ عِبْءَ نَقْلِ الْإِشَاعَةِ إِلَىٰ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، مِمَّا سَاعَدَ عَلَىٰ سُرْعَةِ نَقْلِها.

وَكَذَلِكَ سَاعَدَ عَلَىٰ زِيَادَةِ فَعَالِيَّاتِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا؛ لِأَنَّ الْفَرْدَ سَمِعَ هَذِهِ الْإِشَاعَةَ مِنْ صَدِيقِهِ، مِنْ حَمِيمِهِ، مِنْ دَاخِلِ مُجْتَمَعِهِ، وَهَذَا عَكْسُ الْإِشَاعَاتِ الَّتِي تُذَاعُ أَوْ تُنْشَرُ فِي إِذَاعَاتِ وَصُحُفِ الْعَدُوِّ؛ لِأَنَّ الْوَسَائِلَ الْمَكْشُوفَةَ مِنْ جَانِبِ الْعَدُوِّ غَالِبًا مَا تَكُونُ مَحَلَّ شَكٍّ وَرِيبَةٍ مِنْ قِبَلِ الْجُمْهُورِ الْمُسْتَهْدَفِ(١).

وَمِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ تَتَّضِحُ لَنَا الْعَلَاقَةُ الْوَطِيدَةُ بَيْنَ الْإِشَاعَةِ وَالْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ، وَهِيَ عَلَاقَةُ الْجُزْءِ بِالْكُلِّ، فَالْإِشَاعَةُ بِمَثَابَةِ الْجُزْءِ، وَالْحَرْبُ النَّفْسِيَّةُ بِمَثَابَةِ الْكُلِّ.

وَقَدِ اتَّفَقَ الْمُخْتَصُّونَ وَالْبَاحِثُونَ فِي هَذَا الْمَجَالِ عَلَىٰ أَنَّ الْإِشَاعَةَ تُعَدُّ أَحَدَ أَسَالِيبِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ.

---

(١) «الحرب النفسية ضد الإسلام» -عالم الكتب: بيروت- (ص٧١).

وَقَدْ وَرَدَ فِي جَمِيعِ كُتُبِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ أَنَّ الْإِشَاعَةَ أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِهَا أَوْ هِيَ وَسِيلَةٌ مِنْ أَقْوَىٰ وَسَائِلِهَا، مَثَلُهَا فِي ذَلِكَ مَثَلُ الدَّعَايَةِ وَغَسْلِ الدِّمَاغِ أَوِ افْتِعَالِ الْفِتَنِ وَالْأَزْمَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسَالِيبِ الْكَثِيرَةِ(١).

وَتَلْعَبُ الْإِشَاعَةُ دَوْرًا خَطِيرًا فِي الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ، وَهِيَ وَسِيلَةُ الْبَلْبَلَةِ فِي الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ.

وَالْبَلْبَلَةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالنَّفْسِيَّةُ مِفْتَاحٌ لِتَغْيِيرِ الِاتِّجَاهَاتِ وَاللَّعِبِ بِالْعُقُولِ، ثُمَّ السَّيْطَرَةِ، وَالتَّحْوِيرِ الْفِكْرِيِّ، وَغَسِيلِ الْأَدْمِغَةِ.

وَالْإِشَاعَةُ سِلَاحٌ فَعَّالٌ بِيَدِ الْمُحْتَرِفِينَ مِنْ رِجَالِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ، يُسْتَعْمَلُ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَىٰ الِاتِّجَاهَاتِ الشَّعْبِيَّةِ، وَزَعْزَعَةِ الْوِحْدَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالِانْتِمَاءِ وَالتَّمَاسُكِ الِاجْتِمَاعِيِّ.

وَلَهَا دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي دَعْمِ اتِّجَاهَاتِ الْجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ الْمُعَادِيَةِ؛ لِبَثِّ رُوحِ الْفُرْقَةِ، وَلِبَثِّ الْيَأْسِ بَيْنَ صُفُوفِ وَأَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ، وَكَذَلِكَ فِي بَثِّ رُوحِ الِانْتِقَامِ لِنَشْرِ جَوٍّ مِنَ الشَّكِّ بَيْنَ الْقَادَةِ وَالشَّعْبِ، وَبَيْنَ الضُّبَّاطِ وَالْجُنُودِ، وَبَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْحُلَفَاءِ.

وَلَقَدْ كَانَ الْأَلْمَانُ سَادَةَ الْمَوْقِفِ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي اسْتِخْدَامِ الْإِشَاعَاتِ فِي الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ حَمَلَاتِ الْإِشَاعَةِ مِنْ أَقْوَىٰ الْحَمَلَاتِ تَأْثِيرًا عَلَىٰ الْعَدُوِّ.

---

(١) «الإشاعة وأضرارها علىٰ المجتمع» (ص٦٠).

فَهِيَ تَصِلُ إِلَىٰ السَّامِعِ دُونَ أَنْ يَبْدُوَ أَنَّهَا دَعَايَةٌ مُعَادِيَةٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْمَعُهَا مِنْ أَخِيهِ أَوْ صَدِيقِهِ أَوْ زَمِيلِهِ فِي الْعَمَلِ، فَهُوَ يَسْمَعُهَا مِنْ دَاخِلِ مُجْتَمَعِهِ.

وَكَانَتْ أَيَّةُ أَخْبَارٍ تُذَاعُ عَلَىٰ الْمَوْجَةِ الْقَصِيرَةِ فِي أَلْمَانِيَا أَوْ أَيَّةُ قِصَّةٍ يَنْشُرُهَا عَمِيلٌ أَلْمَانِيٌّ فِي صَحِيفَةٍ بِبَلْدَةٍ مُحَايِدَةٍ سَرْعَانَ مَا تَبْدُو وَكَأَنَّهَا صَادِرَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ؛ إِذْ يَضِيعُ أَصْلُهَا الْأَلْمَانِيُّ تَمَامًا فِي عَمَلِيَّةِ تَدَاوُلِهَا.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ السَّامِعَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُطَالِبَ بِالدَّلِيلِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَعْرِضُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ لَا يَزْعُمُ أَنَّ لَدَيْهِ أَيَّ دَلِيلٍ، بَلْ يُوَضِّحُ مُنْذُ الْبِدَايَةِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ مَا هُوَ إِلَّا مَجُرَّدَ كَلَامٍ سَمِعَهُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**»(١)، يَقُولُ: زَعَمُوا كَذَا وَكَذَا، يَقُولُونَ: كَذَا وَكَذَا، إِنَّهُمْ يُرَوِّجُونَ كَذَا وَكَذَا!

مَنْ هَؤُلَاءِ؟!!

لَا يَدْرِي عَنْهُمْ شَيْئًا!!

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ السَّامِعَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُطَالَبَ بِالدَّلِيلِ وَلَا أَنْ يُطَالِبَ بِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَعْرِضُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ لَا يَزْعُمُ أَنَّ لَدَيْهِ أَيَّ دَلِيلٍ، بَلْ يُوَضِّحُ مُنْذُ الْبِدَايَةِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ مَا هُوَ إِلَّا مَجُرَّدُ كَلَامٍ سَمِعَهُ، وَعَلَىٰ هَذَا الْأَسَاسِ يُكَرِّرُهُ وَيُعِيدُ تَكْرَارَهُ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السنن» (رَقْم ٤٩٧٢) ، من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وصحح إسناده الْأَلْبَانِيّ فِي «الصحيحة» (٢/ رَقْم٨٦٦).

إِنَّ التَّصْدِيقَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ أَسْهَلُ مِنَ الْكَذِبِ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَ الْأَمَلُ أَوِ الْخَوْفُ يُعَضِّدُ الْإِشَاعَةَ.

*** أَسَالِيبُ مُهِمَّةٌ لِلْإِشَاعَاتِ فِي الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ:**

وَهُنَاكَ بَعْضُ الْأَسَالِيبِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي تَقُومُ الْإِشَاعَاتُ مِنْ خِلَالِهَا بِدَوْرٍ فَاعِلٍ فِي الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ.

مِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ:

*** الِاسْتِخْدَامُ بِقَصْدِ التَّفْتِيتِ:** يُمْكِنُ أَنْ يُقْصَدُ بِالتَّفْتِيتِ؛ الرُّوحُ الْمَعْنَوِيَّةُ أَوْ تَفْتِيتُ الصُّفُوفِ، وَزَرْعُ الْفِتْنَةِ وَالْفُرْقَةِ بَيْنَهَا.

وَبِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ تَقُومُ الْإِشَاعَةُ بِدَوْرِهَا فِي تَدْمِيرِ الْقُوَىٰ الْمَعْنَوِيَّةِ وَتَفْتِيتِهَا(١).

*** وَمِنَ الْأَسَالِيبِ: اسْتِخْدَامُ الْإِشَاعَةِ كَسِتَارَةِ دُخَانٍ -أَيْ لِلْخِدَاعِ-:**

وَهَذَا الْأُسْلُوبُ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ أَنَّ الْإِشَاعَاتِ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفِيَ الْحَقِيقَةَ، فَيَقُومُ أَحَدُ الْجَانِبَيْنِ بِالسَّمَاحِ بِتَسَرُّبِ بَعْضِ الْمَعْلُومَاتِ، بِذَلِكَ يَصْعُبُ عَلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ مَعْرِفَةُ الْأَسْرَارِ الْحَقِيقِيَّةِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ.

وَلَقَدْ كَانَ الْأَلْمَانُ سَادَةً فِي هَذَا الْأُسْلُوبِ، فَقَدْ كَانُوا يُطْلِقُونَ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَنْبَاءِ الْمُتَنَاقِضَةِ مِنْ دَاخِلِ أَلْمَانْيَا إِلَىٰ الْبِلَادِ الَّتِي يُرِيدُونَ أَنْ يُحْدِثُوا فِيهَا اضْطِرَابًا، وَفَوْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ.

---

(١) «الحرب النفسية والشائعات» (ص١٩٢).

* **وَمِنَ الْأَسَالِيبِ: الْحَطُّ مِنْ شَأْنِ مَصَادِرِ الْأَنْبَاءِ:** وَيَقُومُ هَذَا الْأُسْلُوبُ عَلَىٰ أَسَاسِ خِدَاعِ الْخَصْمِ بِالْإِيحَاءِ إِلَيْهِ بِبَعْضِ الْأَخْبَارِ وَالْمَعْلُومَاتِ الْخَاطِئَةِ.

وَمَا أَنْ يُذِيعَ الْخَصْمُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَالْمَعْلُومَاتِ حَتَّىٰ يَتِمَّ تَوْضِيحُ الْأَمْرِ لِلرَّأْيِ الْعَامِّ؛ حَتَّىٰ تُصْبِحَ لَدَيْهِمْ قَنَاعَةٌ بِكَذِبِ مَصَادِرِ أَنْبَاءِ الْعَدُوِّ.

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَىٰ ذَلِكَ: فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ، حَاوَلَ الْبِرِيطَانِيُّونَ أَنْ يُدَمِّرُوا مَحَطَّةَ السِّكَكِ الْحَدِيدِيَّةِ الرَّئِيسَةِ فِي بِرْلِين عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْجَحُوا فِي مُحَاوَلَاتِهِمْ تِلْكَ.

وَقَامَ الْأَلْمَانُ بِنَشْرِ تَقَارِيرَ غَيْرِ مُؤَكَّدَةٍ تُوحِي بِأَنَّ الْإِنْجِلِيزَ قَدْ نَجَحُوا فِي مُحَاوَلَاتِهِمْ، عِنْدَمَا وَصَلَتْ هَذِهِ الْإِشَاعَاتُ إِلَىٰ بِرِيطَانِيَا، اعْتَبَرَهَا الْإِنْجِلِيزُ تَأْكِيدًا وَإِثْبَاتًا لِنَجَاحِ مُحَاوَلَاتِهِمْ، وَسَرْعَانَ مَا أَذَاعُوا الْخَبَرَ بِطَرِيقَةٍ رَسْمِيَّةٍ.

حِينَئِذٍ أَخَذَتْ وَزَارَةُ الدِّعَايَةِ الْأَلْمَانِيَّةِ بَعْضَ الصَّحَفِيِّينَ الْأَمْرِيكِيِّينَ إِلَىٰ الْمَحَطَّةِ الرَّئِيسَةِ؛ لِإِثْبَاتِ كَذِبِ الْإِذَاعَةِ الْبِرِيطَانِيَّةِ، وَبِذَلِكَ اسْتَطَاعَ الْأَلْمَانُ أَنْ يَحُطُّوا مِنْ شَأْنِ الْإِذَاعَةِ الْبِرِيطَانِيَّةِ عَلَىٰ أَسَاسِ أَنَّ أَنْبَاءَهَا كَاذِبَةً[1].

* **وَمِنَ الْأَسَالِيبِ: اسْتِخْدَامُ الْإِشَاعَةِ كَطُعْمٍ يُقْصَدُ بِهِ إِيضَاحُ الْحَقِيقَةِ:**

وَخَيْرُ مِثَالٍ لِذَلِكَ مَا قَامَ بِهِ الْيَابَانِيُّونَ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ؛ إِذْ رَوَّجُوا إِشَاعَاتٍ مُبَالَغًا فِيهَا عَنْ خَسَائِرِ الْأَمْرِيكِيِّينَ فِي الِاشْتِبَاكَاتِ الْبَحَرِيَّةِ.

---

(١) المصدر السابق (ص١٩٣).

كَانُوا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ مَا صَنَعُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ خَسَائِرِ الْأَمْرِيكِيِّينَ، وَكَانَ الْيَابَانِيُّونَ يَهْدِفُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَنْ يُثِيرُوا الْأَمْرِيكِيِّينَ، فَيَقُومُوا بِدَوْرِهِمْ بِنَشْرِ حَقِيقَةِ خَسَائِرِهِمْ.

وَبِالْفِعْلِ نَجَحَتْ هَذِهِ الْوَسِيلَةُ؛ إِذْ أَنَّ انْتِشَارَ هَذِهِ الْإِشَاعَاتِ أَثَّرَ تَأْثِيرًا بَالِغًا فِي مَعْنَوِيَّاتِ الشَّعْبِ الْأَمْرِيكِيِّ، مِمَّا جَعَلَ الْحُكُومَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ تُسْرِعُ فِي إِذَاعَةِ الْحَقَائِقِ عَنِ الْخَسَائِرِ؛ رَغْبَةً مِنْهَا فِي دَعْمِ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَبِذَلِكَ اسْتَطَاعَ الْيَابَانِيُّونَ أَنْ يَعْرِفُوا الْحَقَائِقَ الَّتِي تَهُمُّهُمْ.

«وَتَقُومُ الْإِشَاعَةُ فِي الْحُرُوبِ عَلَىٰ اسْتِرَاتِيجِيَّةٍ وَتِكْتِيكٍ مُعَيَّنَيْنِ، لَيْسَتْ عَمَلًا ارْتِجَالِيًّا وَلَا عَمَلًا فَوْضَوِيًّا يَقُومُ بِهِ فَرْدٌ هَاوٍ أَوْ جَمَاعَةٌ؛ لِتَحْقِيقِ مَقَاصِدَ قَرِيبَةٍ أَوْ بَعِيدَةٍ.

الْإِشَاعَةُ حَرْبٌ مُنَظَّمَةٌ مِنْ أَجْلِ تَفْكِيكِ الرَّوَابِطِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الْوَاحِدِ، وَإِشَاعَةِ الْبَلْبَلَةِ، وَبَثِّ رُوحِ الْفُرْقَةِ وَالِانْقِسَامِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْوَاحِدِ»[1].

*** الْإِشَاعَةُ مِنْ أَخْطَرِ الْأَسْلِحَةِ الْمُدَمِّرَةِ لِلْأَشْخَاصِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ:**

«إِذَنْ؛ الْإِشَاعَةُ مِنْ أَخْطَرِ الْأَسْلِحَةِ الْفَتَّاكَةِ وَالْمُدَمِّرَةِ لِلْأَشْخَاصِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، وَلَقَدْ لَجَأَ إِلَيْهَا الْأَعْدَاءُ كَوسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الْهَدْمِ وَالتَّدْمِيرِ لِلْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ.

---

(١) «الإشاعة» (ص١٠١-١٠٤).

فَكَمْ أَقْلَقَتِ الْإِشَاعَةُ مِنْ أَبْرِيَاءَ، وَحَطَّمَتْ مِنْ عُظَمَاءَ، وَقَطَّعَتْ مِنْ وَشَائِجَ، وَتَسَبَّبَتْ فِي جَرَائِمَ، وَفَكَّكَتْ مِنْ عَلَاقَاتٍ وَصَدَاقَاتٍ، وَكَمْ هَزَمَتْ مِنْ جُيُوشٍ.

وَالْمِثَالُ عَلَىٰ ذَلِكَ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، أَعْنِي حَادِثَةَ الْإِفْكِ، وَهَذَا الْحَادِثُ يُعْتَبَرُ حَدَثَ الْأَحْدَاثِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَمْ يُمْكَرْ بِالْمُسْلِمِينَ مَكْرٌ أَشَدُّ مِنْ تِلْكَ الْوَقْعَةِ، وَهِيَ مَجُرَّدُ فِرْيَةٍ وَإِشَاعَةٍ مُخْتَلَقَةٍ، بَيَّنَ اللهُ كَذِبَها فِي قُرْآنٍ يُتْلَىٰ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَلِلْإِشَاعَةِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ تَفْتِيتِ الصَّفِّ الْوَاحِدِ، وَالرَّأْيِ الْوَاحِدِ وَتَوْزِيعِهِ وَبَعْثَرَتِهِ، فَالنَّاسُ أَمَامَ الْإِشَاعَةِ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ، وَمُتَرَدِّدٍ وَمُتَبَلْبِلٍ، وَمُتَنَاقِضٍ يَنْظُرُ إِلَىٰ هَذِهِ الْأَخْبَارِ أَمَامَ نَاظِرَيْهِ وَسَمْعِهِ؛ فَيَجِدُ هَذَا يَنْفِي، وَذَاكَ يُثْبِتُ، وَذَاكَ يُشَكِّكُ، وَيَجِدُ آخِرَ يُؤَكِّدُ!!

فَكَمْ مِنْ حَيٍّ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ مَيِّتٌ، وَكَمْ مِنْ مَيِّتٍ زَعَمُوا حَيَاتَهُ!!

وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ شَاعَ أَمْرُهُ بِأَنَّهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَأَصْحَابِ الْكَرَامَاتِ، وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ صَالِحٍ شَاعَ أَمْرُهُ أَنَّهُ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَفَعَلَ الْأَفَاعِيلَ!!

وَكَمْ مِنْ بَرِيءٍ قَدِ اتُّهِمَ، وَكَمْ مِنْ مُتَّهَمٍ حَوْلَهُ قَرَائِنُ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ جَرِيمَتِهِ؛ تَأْتِي الْإِشَاعَةُ فَتُبَرِّئُهُ؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ!!

يَخْتَلِطُ الْحَابِلُ بِالنَّابِلِ، وَالصَّحِيحُ بِالْمَرِيضِ، وَالسَّلِيمُ بِالْعَلِيلِ، وَالْأَحْمَرُ بِالْأَسْوَدِ!!»[1].

---

(١) «الإشاعة» (ص١٢٧-١٢٨).

إِنَّ أُسْلُوبَ الْإِشَاعَةِ مِنْ أَخْطَرِ أَسَالِيبِ الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ؛ إِنَّهُ يُثِيرُ الْبَلْبَلَةَ فِي نُفُوسِ النَّاسِ، وَيُضْعِفُ رُوحَهُمُ الْمَعْنَوِيَّةَ، فَيَنْهَزِمُونَ دَاخِلَ نُفُوسِهِمْ، وَبِذَلِكَ يَنْهَزِمُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهَزِيمَةُ النَّفْسِ هِيَ الْهَزِيمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَتْبَعُهَا الِانْهِيَارُ وَالِانْدِحَارُ.

وَكُلُّ خَبَرٍ هَامٍّ يُشَكُّ فِي صِحَّتِهِ، وَيَتَعَذَّرُ التَّحَقُّقُ مِنْ أَصْلِهِ فَهُوَ إِشَاعَةٌ؛ لِتَحَقُّقِ الشَّرْطَيْنِ الرَّئِيسَيْنِ لَهَا، وَهُمَا: الْغُمُوضُ، وَالْأَهَمِّيَّةُ.

الْقَلَقُ وْالْحُبُّ، وَالْكُرْهُ وَالْحِقْدُ، وَالْخَوْفُ وَالْأَمَلُ، وَالِانْتِقَامُ وَالتَّشَفِّي، كُلُّهَا دَوَافِعُ نَفْسِيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ يَتِمُّ التَّرْكِيزُ عَلَيْهَا عِنْدَ إِطْلَاقِ الْإِشَاعَاتِ.

فَالْإِنْسَانُ الْقَلِقُ مِنْ فَشَلِهِ مَثَلًا، يَكُونُ أَكْثَرَ مَيْلًا مِنْ غَيْرِهِ لِتَصْدِيقِ خَبَرٍ عَنْ فَشَلِ أَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ لِنَشْرِ هَذَا الْخَبَرِ، وَالشَّخْصُ الَّذِي يَكْرَهُ آخَرَ أَوْ مَجْمُوعَةً مِنَ النَّاسِ مَثَلًا، يُسَارِعُ إِلَىٰ تَصْدِيقِ أَوْ نَشْرِ أَيِّ خَبَرٍ يُسِيءُ إِلَىٰ ذَلِكَ الشَّخْصِ أَوْ إِلَىٰ تِلْكَ الْمَجْمُوعَةِ.

وَوَضْعُ الْيَدِ عَلَىٰ هَذِهِ الِاتِّجَاهَاتِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ قَدْ تَوَصَّلَ إِلَيْهَا الْأَعْدَاءُ مَجَّانًا فِي هَذَا الْعَصْرِ، بِطَوَاعِيَةٍ وَأَرْيَحِيَّةٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ نَفْسِهَا، وَهِيَ مُسْتَهْدَفَةٌ فِي وُجُودِهَا، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ «مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ»، تُبَثُّ الْأَسْرَارُ، وَتُذَاعُ الْهُمُومُ، وَيَسْرُدُ كُلٌّ مِنْهُمْ مَا لَدَيْهِ، وَيَنْثُرُ مَكْنُونَ صَدْرِهِ!!

وَهُنَالِكَ مَنْ يُرَاقِبُ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَشِيعَ الشَّائِعَاتِ عَلَىٰ قَدْرٍ مُنْضَبِطٍ، مَعَ مَا تُعَانِيهِ الْمُجْتَمَعَاتُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الضُّرُوبِ الَّتِي هِيَ فِي حَقِيقَتِهَا مِنَ

الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ عَلَىٰ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لِلْأَسَفِ يَهْدِمُونَ أَوْطَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، وَيُدَمِّرُونَ ذَوَاتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ أَيْضًا، وَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

*** الْأَهْدَافُ الْخَبِيثَةُ لِلْإِشَاعَاتِ:**

- **الْمِحْوَرُ الَّذِي تَهْدُفُ إِلَيْهِ الْإِشَاعَةُ: هُوَ إِضْعَافُ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْخَصْمِ**؛ تَمْهِيدًا لِانْهِيَارِهَا، وَبِالتَّالِي إِجْبَارُ هَذَا الْخَصْمِ عَلَىٰ الِاسْتِسْلَامِ، وَتَنْفِيذُ الشُّرُوطِ الَّتِي تُمْلَىٰ عَلَيْهِ، وَتَعْرِيضُهُ لِهَزِيمَةِ الِانْكِسَارِ، أَوْ لِلْخَسَارَةِ الْكُبْرَىٰ.

وَهَذِهِ الْهَزِيمَةُ هِيَ النَّتِيجَةُ النِّهَائِيَّةُ لِجُمْلَةٍ مِنَ الْأَهْدَافِ تُحَقِّقُهَا الْإِشَاعَةُ فِي صُفُوفِ الْخَصْمِ أَوِ الْعَدُوِّ.

- **وَمِنْ هَذِهِ الْأَهْدَافِ: تَفْرِيقُ الصُّفُوفِ**، وَتَوْسِيعُ الثَّغَرَاتِ، وَتَبْدِيدُ الْإِمْكَانَاتِ، وَالتَّشْكِيكُ فِي كُلِّ عَمَلٍ أَوْ حَرَكَةٍ يَقُومُ بِهَا الْخَصْمُ، خَاصَّةً فِي عَدَالَةِ الْهَدَفِ الَّذِي يَسْعَىٰ إِلَيْهِ، أَوْ فِي أَهَمِّيَّتِهِ أَوْ دَوَافِعِهِ وَمُبَرِّرَاتِهِ، مَعَ بَثِّ عَوَامِلِ الضَّعْفِ وَالْوَهَنِ، وَفِي طَلِيعَةِ ذَلِكَ زَعْزَعَةُ ثِقَةِ الْخَصْمِ بِنَفْسِهِ، وَبِعَوَامِلِ قُوَّتِهِ وَتَمَاسُكِهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ/ ٦-٥-٢٠١٦م.

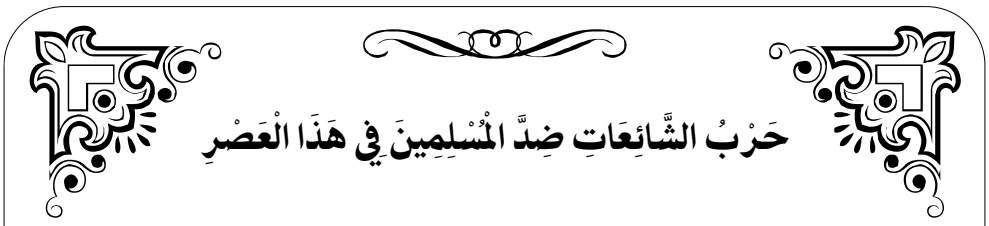

حَرْبُ الشَّائِعَاتِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ

عِبَادَ اللهِ! فِي هَذَا الْعَصْرِ نَجِدُ لِلشَّائِعَاتِ دَوْرًا كَبِيرًا، بَلِ اُسْتُغِلَّتِ الشَّائِعَاتُ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ اسْتِغْلَالًا كَبِيرًا.

وَمِثْلُ هَذِهِ الشَّائِعَاتِ تُحْدِثُ فِي الصَّفِّ ثَغَرَاتٍ تُخِلُّ بِهِ، وَأَحْيَانًا تَكُونُ ثَغَرَاتٍ كَبِيرَةً يَصْعُبُ سَدُّهَا، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتْ مَصَادِرُ الشَّائِعَاتِ مِنْ دَاخِلِ الصَّفِّ، مِنْ أُنَاسٍ جَهَلَةٍ، أَوْ لَهُمْ هَوًى خَفِيٌّ، أَوْ لَهُمْ ظَنٌّ مُخْطِئٌ.

وَأَمَّا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ فَهُمْ يَسْتَخْدِمُونَ الشَّائِعَاتِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، وَخَاصَّةً عُلَمَاءَهُمْ، وَقَادَتَهُمْ، وَدُعَاتَهُمْ.

وَغَالِبًا مَا يَسْتَخْدِمُونَ فِي شَائِعَاتِهِمْ طَرِيقَيْنِ:

* إِنْشَاءُ وَتَلْفِيقُ الْأَكَاذِيبِ وَالِاتِّهَامَاتِ لِلْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِزَعْزَعَةِ الثِّقَةِ بِهِمْ، وَلِلِانْصِرَافِ عَنْهُمْ.

* وَتَصَيُّدُ الْأَخْطَاءِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مَعَ نَشْرِهَا بَيْنَ النَّاسِ، مَعَ إِعْطَائِهَا حَجْمًا أَكْبَرَ، فَيَزِيدُونَ شَائِعَاتٍ مَكْذُوبَةً عَلَىٰ أَمْرٍ صَغِيرٍ، كَالشَّيْطَانِ الَّذِي يُلْقِي عَلَىٰ الْكَاهِنِ كَلِمَةً صَحِيحَةً وَتِسْعًا وَتِسْعِينَ كَذِبَةً!!»[1].

---

(١) مقال «التحذير من نشر الشائعات» بتصرُّف.

فَشَأْنُهُمْ شَأْنُ الشَّيْطَانِ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ!!

وَيَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَثَبَّتَ، وَأَنْ يَتَرَوَّىٰ فِي تَلَقِّي الْأَخْبَارِ وَالرِّوَايَةِ وَالْعَمَلِ بِهَا، وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

قَالَ الْعَلَّامَةُ الشِّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي سُورَةِ الْحُجُرَاتِ عَلَىٰ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ مِنْهُمَا: أَنَّ الْفَاسِقَ إِنْ جَاءَ بِنَبَإٍ مُمْكِنٍ مَعْرِفَةُ حَقِيقَتِهِ، وَهَلْ مَا قَالَهُ فِيهِ الْفَاسِقُ حَقٌّ أَوْ كَذِبٌ فَإِنَّه يَجِبُ فِيهِ التَّثَبُّتُ.

وَالثَّانِي: هُوَ مَا اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِهَا أَهْلُ الْأُصُولِ مِنْ قَبُولِ خَبَرِ الْعَدْلِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ يَدُلُّ بِدَلِيلِ خِطَابِه -أَعْنِي مَفْهُومَ الْمُخَالَفَةِ- أَنَّ الْجَائِيَ بِنَبَإٍ إِنْ كَانَ غَيْرَ فَاسِقٍ بَلْ عَدْلًا لَا يَلْزَمُ التَّبَيُّنُ فِي نَبَئِهِ عَلَىٰ قِرَاءَةِ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ وَلَا التَّثَبُّتُ عَلَىٰ قِرَاءَةِ: ﴿فَتَثَبَّتُوٓا﴾ -قَالَ:- وَهُوَ كَذَلِكَ». (*).

*** الدَّوْرُ الْخَطِيرُ لِلْإِشَاعَاتِ فِي ثَوَرَاتِ الْخَرِيفِ الْعَرَبِيِّ:**

إِنَّ مِنَ الْعَوَامِلِ الرَّئِيسِيَّةِ لِحَرْبِ الْمُجْتَمَعَاتِ: السَّيْطَرَةَ عَلَىٰ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الَّتِي تَقْدِرُ -بِقُدْرَتِهَا الْمُثِيرَةِ- عَلَىٰ التَّأْثِيرِ عَلَىٰ أَنْ تَنْقُلَ مَوْضُوعًا عَادِيًّا إِلَىٰ مُسْتَوَىٰ أَزْمَةٍ وَطَنِيَّةٍ.

---

(١) «أضواء البيان» (٧/ ٤١١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَب ١٤٣٧هـ/ ٢٩-٤-٢٠١٦م.

وَيَبْدَأُ هَذَا الْمَسَارُ عَادَةً بِطَرْحِ الْمَسْأَلَةِ عَلَىٰ السَّاحَةِ الدَّوْلِيَّةِ بِوَاسِطَةِ خُبَرَاءَ مُحْتَرِفِينَ أَوْ صَحَفِيِّينَ مَشْهُورِينَ، ثُمَّ يَتَطَوَّرُ النِّقَاشُ دَرَجَةً دَرَجَةً حَتَّىٰ يُصْبِحَ مُشْكِلَةً طَارِئَةً، سَوَاءٌ كَانَتْ مُشْكِلَةً حَقِيقِيَّةً أَوْ مُفْتَعَلَةً؛ لِتَنْتَقِلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُشْكِلَةُ الطَّارِئَةُ إِلَىٰ أَزْمَةٍ وَطَنِيَّةٍ لَا تَقْبَلُ التَّأْجِيلَ.

وَالتَّهْيِئَةُ لِحَرْبٍ نَفْسِيَّةٍ مُتَطَوِّرَةٍ لِلْغَايَةِ يَكُونُ مِنْ خِلَالِ الْإِعْلَامِ وَالتَّلَاعُبِ النَّفْسِيِّ، وَاسْتِخْدَامِ مَحَطَّاتٍ فَضَائِيَّةٍ تَكْذِبُ وَتَقُومُ بِتَزْوِيرِ الصُّوَرِ وَالْحَقَائِقِ؛ عَنْ طَرِيقِ تَمْوِيلِ الْمَحَطَّاتِ أَوِ الْإِعْلَامِيِّينَ أَوْ أَصْحَابِ الْمَحَطَّاتِ، وَيُسْتَخْدَمُ فِيهَا وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ التَّقْلِيدِيَّةِ؛ وَالْجَدِيدَةِ مِنْ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ.

*** قَنَاةُ الْجَزِيرَةِ وَالْإِخْوَانِ مِثَالٌ لِتَرْوِيجِ الشَّائِعَاتِ؛ مِنْ أَجْلِ هَدْمِ كُبْرَى الْحَوَاضِرِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:**

إِنَّ سَيْطَرَةَ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الدَّوْلِيَّةِ أَدَاةٌ رَئِيسِيَّةٌ فِي هَذَا الْمَجَالِ تَجْعَلُ مِنْهَا شَرِيكًا مُزْمِنًا فِي كُلِّ الْأَزَمَاتِ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الْمَنْطِقَةِ.(*).

مِنْ وَسَائِلِ الْمَاسُونِ: بَثُّ الْأَخْبَارِ الْمُخْتَلَقَةِ، وَالْأَبَاطِيلِ وَالدَّسَائِسِ الْكَاذِبَةِ حَتَّىٰ تُصْبِحَ كَأَنَّهَا حَقَائِقُ؛ لِتَحْوِيلِ عُقُولِ الْجَمَاهِيرِ، وَطَمْسِ الْحَقَائِقِ أَمَامَهُمْ.

وَقَنَاةُ الْجَزِيرَةِ الْقَطَرِيَّةِ -مِثَالًا-؛ تَبَعِيَّتُهَا لِلْيَهُودِ، إِنَّمَا هِيَ مُنَظَّمَةٌ يَهُودِيَّةٌ، وَيَقُولُ ضَالٌّ مِنَ الضُّلَّالِ الْكِبَارِ الَّذِينَ ابْتُلِيَتْ بِهِمُ الْأُمَّةُ فِي هَذَا الْعَصْرِ، حَتَّىٰ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِصْرُ وَحُرُوبُ الْجِيلِ الرَّابِعِ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٧هـ الْمُوَافِقُ ٢٥-١٢-٢٠١٥م.

صَارَ مَعْدُودًا عَلَىٰ كِبَارِ عُلَمَائِهَا وَشُيُوخِهَا، يَقُولُ: إِنَّهُ لَوْلَا مَا قَدَّمَتْهُ (قَنَاةُ الْجَزِيرَةِ) مَا وَقَعَ مَا وَقَعَ فِي مِصْرَ!!

نَعَمْ؛ مِنْ ذَلِكَ الشِّعَارُ: (حُرِّيَّةٌ.. دِيمُقْرَاطِيَّةٌ)!! مِنْ شِعَارِ الْمَاسُونِ.(*).

لَقَدْ كَانَ النَّاسُ فِي لِيبْيَا طَيِّبِينَ يَحْيَوْنَ الْحَيَاةَ الْكَرِيمَةَ، فَأَجَّجَتْ قَنَاةُ الْجَزِيرَةِ شُعْلَةَ الثَّوْرَةِ الْمَلْعُونَةِ بِطَرِيقَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ:

الْمُذِيعُ فِي حُجْرَةٍ، وَلِيبِيٌّ خَائِنٌ فِي حُجْرَةٍ مُجَاوِرَةٍ يَقُولُ لَهُ:

أَنَا الْآنَ فِي مَيْدَانِ كَذَا بِطَرَابُلْسَ!!

النَّاسُ خَرَجُوا جَمِيعًا إِلَىٰ الشَّوَارِعِ مُحْتَجِّينَ ثَائِرِينَ!!

وَالْأَعْلَامُ تُرَفْرِفُ فِي كُلِّ مَكَانٍ!!

وَأَسْمَعُ دَوِيَّ طَلْقَاتِ الرَّصَاصِ، بَلْ دَانَاتِ الْمَدَافِعِ!!

لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَطُّ!!

يَجْلِسُ فِي الْحُجْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ!!

وَالْآخَرُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ اللِّيبِيَّ الطَّيِّبَ، وَيُحَرِّكُهُ مَعَ إِخْوَانِ الدَّاخِلِ مِنَ الْمُجْرِمِينَ الْخَائِنِينَ، حَتَّىٰ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، وَارْتَفَعَ الْأَمْنُ، وَحَلَّتِ الْمَخَافَةُ، وَجَاءَ الْعَذَابُ، يَخَافُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ، وَعَلَىٰ أَعْرَاضِهِمْ، وَعَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْمَاسُونِيَّةُ وَالثَّوْرَاتُ» - خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ ٦ مِنْ رَبِيعٍ الثَّانِي ١٤٣٢هـ الْمُوَافِقُ ١١-٣-٢٠١١م، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

وَأَمَّا ثَرْوَاتُ الْبِلَادِ؛ فَإِنَّهَا تَخْرُجُ إِلَىٰ الْأَعْدَاءِ، تَخْرُجُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَىٰ الْأَعْدَاءِ، فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ مَعَ تَغْيِيرِ الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ، وَنَسْفِ الْعَقَائِدِ وَالْأَدْيَانِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةُ: «دَعْوَةُ الْإِخْوَانِ لِلتَّوْبَةِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٦هـ الْمُوَافِقُ ١٢-٦-٢٠١٥م.

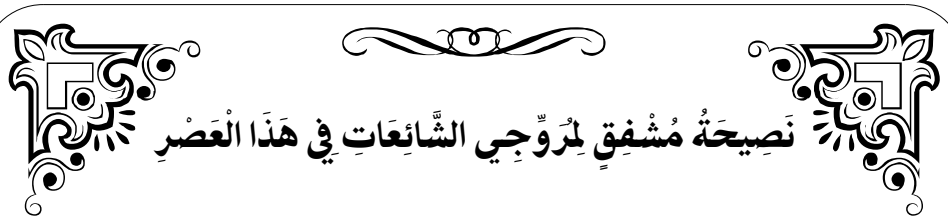

نَصِيحَةٌ مُشْفِقٍ لِمُرَوِّجِي الشَّائِعَاتِ فِي هَذَا الْعَصْرِ

فِي هَذَا الْعَصْرِ اسْتَشْرَىٰ الْكَذِبُ، وَعَمَّ الْبُهْتَانُ وَالِافْتِرَاءُ وَالِاخْتِلَاقُ، وَإِلْصَاقُ التُّهَمِ بِالْأَبْرِيَاءِ، وَالتَّقَوُّلُ عَلَىٰ النَّاسِ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ، وَالْوَسَائِلُ الْحَدِيثَةُ صَارَتْ مَدْعَاةً لِنَشْرِ ذَلِكَ وَإِطَارَتِهِ كُلَّ مَطَارٍ!!

فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ بِكَلِمَةٍ إِلَّا وَتَذِيعُ فِي الْآفَاقِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ كَاذِبًا مُختَلِقًا مُفْتَرِيًا بَهَّاتًا، وَرُبَّمَا يُخْتَلَقُ عَلَيْهِ وَيُبْهَتُ، وَيُقَوَّلُ مَا لَمْ يَقُلْ، وَكُلُّ ذَلِكَ وَاقِعٌ!!

فَأُذَكِّرُ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الَّذِي يَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، أُذَكِّرُهُمْ بِمَا قَالَ مِنَ الْعِقَابِ الْوَاقِعِ عَلَيْهِ، وَالْعَذَابِ الَّذِي يَنَالُهُ فِي الْبَرْزَخِ قَبْلَ الْآخِرَةِ، مُنْذُ أَنْ يَمُوتَ إِلَىٰ أَنْ يُقِيمَ اللهُ تَعَالَىٰ السَّاعَةَ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»[1]: «**يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمُوقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ إِلَىٰ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَصِحُّ هَذَا، فَيَفْعَلُ بِهَذَا مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْأَوَّلِ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَىٰ الْأَوَّلِ فَيَصِحُّ الثَّانِي هَكَذَا!!**».

---

(١) «صحيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم٧٠٤٧)، وقد تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

قَالَ: «**إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»: هَذَا عَذَابُهُ فِي الْبَرْزَخِ!!

قَالَ: «**الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ يَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ**».

مُنْطَبِقٌ تَمَامًا عَلَىٰ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ.

كَذَبَةٌ.. يُقَوِّلُونَ النَّاسَ مَا لَمْ يَقُولُوهُ، وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِمُ الْأَكَاذِيبَ، وَيَصِمُونَ الْبُرَآءَ بِالْعُيوبِ، وَهِيَ فِيهِمْ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَيَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ.

الْبُهْتَانُ وَالْإِفْكُ.. هَذَا الِافْتِرَاءُ وَالْكَذِبُ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ؛ الرَّأْسُ فِيهِ وَالْقَائِدُ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ وَشِيعَتُهُ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَأَمَّا الْيَهُودُ؛ فَهَذَا مِثَالٌ ظَاهِرٌ.

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ: فَقَدْ مَرَّ مَا قَالُوهُ فِي حَقِّ الْبَرِيئَةِ الطَّاهِرَةِ الْمُطَهَّرَةِ، الَّتِي هِيَ أَطْهَرُ مِنْ مَاءِ الْمُزْنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَهَذَا صَنِيعُ الْمُنَافِقِينَ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ.

أَمْسِكُوا أَلْسِنَتَكُمْ -يَرحَمُكُمُ اللهُ- إِلَّا عَنْ خَيْرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ ذِكْرَ اللهِ دَوَاءٌ، وَأَنَّ ذِكْرَ النَّاسِ دَاءٌ.

اتَّقُوا اللهَ فِي ثَوَانِيكُمْ، وَدَقَائِقِكُمْ، وَسَاعَاتِكُمْ، وَأَيَّامِكُمْ.. فِي شُهُورِكُمْ وَأَعوَامِكُمْ.. فِي عُمُرِكُمْ، امْلَؤُوا تِلْكَ الْأَوْقَاتِ بِالطَّاعَةِ.

اتَّقُوا اللهَ.. اتَّقُوا اللهَ فِي بَلَدِكُمْ، فِي مُجْتَمَعِكُمْ، فِي إِسلَامِكُمْ..

اتَّقُوا اللهَ رَبَّ الْعَالمِينَ فِي ذُرِّيَّاتِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ -وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ-.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَب ١٤٣٧هـ/ ٢٩-٤-٢٠١٦م.

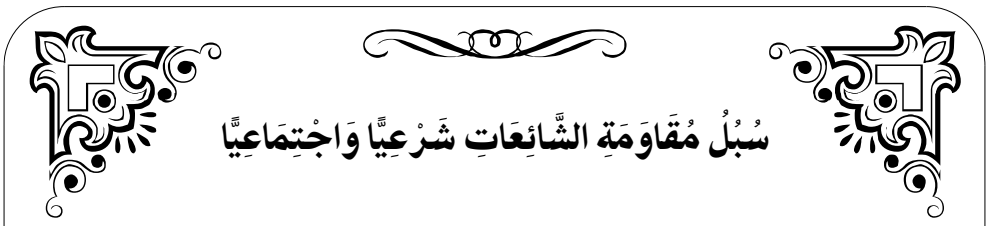

سُبُلُ مُقَاوَمَةِ الشَّائِعَاتِ شَرْعِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا

إِنَّ الْإِشَاعَةَ سِلَاحٌ يَسْتَخْدِمُهُ الْعَدُوُّ فِي الدَّاخِلِ وَفِي الْخَارِجِ عَلَىٰ السَّوَاءِ، فَمَا هِيَ مُضَادَّاتُهُ؟ وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تُدْفَعَ شُرُورُهُ؟

إِنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَمِيلُ دَوْمًا إِلَىٰ تَنْظِيمِ الْمَعْلُومَاتِ بِطَرِيقَةٍ تُحَقِّقُ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الْوُضُوحِ وَالِانْتِظَامِ وَالْكَمَالِ.

وَعِنْدَمَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ خَبَرًا غَامِضًا يَمِيلُ فَوْرًا إِلَىٰ تَبْسِيطِهِ؛ لِيَكُونَ وَاضِحًا، وَفِي حَالِ عَدَمِ تَوَفُّرِ مَعْلُومَاتٍ كَافِيَةٍ لِذَلِكَ، يَمِيلُ إِلَىٰ سَدِّ هَذِهِ الثُّغْرَةِ وَتَعْوِيضِ هَذَا النَّقْصِ فِي الْمَعْلُومَاتِ.

وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ تَحْصِيلَ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمَوْثُوقَةِ يَسْتَعِينُ بِمَصَادِرَ أُخْرَىٰ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ وَالْمُجْتَمَعِ، أَوْ مِنْ وَكَالَاتِ الْأَنْبَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ وَغَيْرِهَا؛ مِنْ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْمُتَعَدِّدَةِ.

وَهَذِهِ الْأَوْسَاطُ كُلُّهَا قَدْ تَكُونُ بُؤَرًا لِبَثِّ الْأَخْبَارِ الْمُلَفَّقَةِ الْكَاذِبَةِ، وَتَرْوِيجِ الْإِشَاعَاتِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَىٰ نَتِيجَتَيْنِ سَيِّئَتَيْنِ هُمَا:

* **الْأُولَىٰ**: تَصْدِيقُ الْإِشَاعَةِ أَوِ الْخَبَرِ الْكَاذِبِ أَوَّلًا.

* **وَالثَّانِيَةُ**: الْمُشَارَكَةُ فِي نَشْرِ ذَلِكَ، وَتَوْسِيعُ دَائِرَةِ انْتِشَارِهِ فِي الْمُجْتَمَعِ.

* **الْوَسَائِلُ الْعِلْمِيَّةُ، وَالِاجْتِمَاعِيَّةُ لِمُعَالَجَةِ الْإِشَاعَةِ:**

انْطِلَاقًا مِنَ الْمَفْهُومِ الْعِلْمِيِّ النَّفْسِيِّ الَّذِي مَرَّ، فَإِنَّ مُقَاوَمَةَ الْإِشَاعَةِ تَعْتَمِدُ بِشَكْلٍ رَئِيسٍ عَلَىٰ:

أَوَّلًا: نَشْرُ الْحَقِيقَةِ أَوْ تَصْحِيحُ الْمَعْلُومَاتِ الْمَغْلُوطَةِ بِأُسْلُوبٍ يَتَّسِمُ بِالسُّهُولَةِ وَالْوُضُوحِ مَا أَمْكَنَ ذَلِكَ، وَالِانْتِظَامُ فِي تَزْوِيدِ النَّاسِ بِالْمَعْلُومَاتِ أَوَّلًا بِأَوَّلٍ، مَعَ تَقْدِيمِ الْمَعْلُومَاتِ الْكَامِلَةِ حَوْلَ الْمَوْضُوعِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ الْخَصْمُ مَادَّةً لِإِشَاعَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْجَمَاهِيرِ، وَذَلِكَ بِمَا لَا يَتَعَارَضُ مَعَ مَبْدَأِ السِّرِّيَّةِ وَالْكِتْمَانِ وَالْحِفَاظِ عَلَىٰ الْأَمْنِ الْقَوْمِيِّ.

ثَانِيًا: تَحْلِيلُ الْإِشَاعَةِ وَدِرَاسَتُهَا، ثُمَّ السَّعْيُ لِكَسْرِ حَلْقَةِ نَشْرِهَا، مَعَ كَشْفِ مُحَاوَلَاتِ التَّخْذِيلِ فِيهَا، وَتَتَبُّعِ سَيْرِهَا؛ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ مُرَوِّجِيهَا، وَكَشْفِ حَقِيقَتِهِمْ وَحَقِيقَةِ مُطْلِقِيهَا الْأَصْلِيِّينَ.

ثَالِثًا: التَّمَاسُكُ عَلَىٰ الصَّعِيدِ الِاجْتِمَاعِيِّ، وَمَا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنْ وَعْيٍ وَإِدْرَاكٍ، وَتَرَابُطٍ وَثِقَةٍ مُتَبَادَلَةٍ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، مِمَّا يُؤَدِّي لِرَدِّ كُلِّ إِشَاعَةٍ إِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ؛ لِوَضْعِ الْحَلِّ الْمُنَاسِبِ لَهَا.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ/ ٦-٥-٢٠١٦م.

*** السُّبُلُ الْقُرْآنِيَّةُ لِعِلَاجِ الْإِشَاعَاتِ:**

الَّذِي يَنْبَغِي عَلَىٰ الْمُسْلِمِ عِنْدَ سَمَاعِهِ مِثْلَ هَذِهِ الْإِشَاعَاتِ وَالْأَخْبَارِ:

- أَنْ يُقَدِّمَ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَهُوَ طَلَبُ الدَّلِيلِ الْبَاطِنِيِّ الْوُجْدَانِيِّ، وَأَنْ يُنْزِلَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِمَنْزِلَتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ وِحْدَةُ الصَّفِّ الدَّاخِلِيِّ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

- وَأَنْ يَطْلُبَ الدَّلِيلَ الْخَارِجِيَّ الْبُرْهَانِيَّ: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور: ١٣].

- وَأَلَّا يَتَحَدَّثَ بِمَا سَمِعَهُ وَلَا يَنْشُرَهُ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَوْ لَمْ يَتَكَلَّمُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّائِعَاتِ لَمَاتَتْ فِي مَهْدِهَا، وَلَمْ تَجِدْ مَنْ يُحْيِيهَا إِلَّا مِنَ الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦].

- وَأَنْ يُرَدَّ الْأَمْرُ إِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ، وَلَا يُشِيعُ النَّاسُ بَيْنَ النَّاسِ الشَّائِعَاتِ، فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي كُلِّ الْأَخْبَارِ الْمُهِمَّةِ، وَالَّتِي لَهَا أَثَرُهَا الْوَاقِعِيُّ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] .(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَب ١٤٣٧هـ/ ٢٩-٤-٢٠١٦م.

فَأَنْكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ خَوْضَهُمْ فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَمْنِ وَالْخَوْفِ، وَإِذَاعَتَهُمْ لِأَخْبَارِهَا قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنُوا حَقِيقَتَهَا، وَيَتَأَمَّلُوا فِي آثَارِهَا وَعَوَاقِبِهَا.

ثُمَّ حَثَّهُمْ عَلَىٰ رَدِّ الْأَمْرِ إِلَىٰ وُلَاةِ الْأَمْرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ، فَهُمْ بِحَسَبِ فِقْهِهِمْ بِالشَّرْعِ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِالْوَاقِعِ أَقْدَرُ عَلَىٰ إِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ، وَالنَّظَرِ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَمَآلَاتِهَا، وَمَا يَنْبَغِي نَشْرُهُ وَإِعْلَانُهُ، وَمَا يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَنْهُ وَكِتْمَانُهُ.(*).

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ تَعَامَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَعَ الْإِشَاعَاتِ:

- تَعَامَلَ الْقُرْآنُ مَعَ الْإِشَاعَاتِ بِالرَّدِّ الْحَاسِمِ السَّرِيعِ الَّذِي يُبَيِّنُ الْحَقِيقَةَ بِكُلِّ وُضُوحٍ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

- تَعَامَلَ الْقُرْآنُ مَعَ الْإِشَاعَةِ بِتَنْمِيَةِ إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْوِيَةِ رَوَابِطِهِمْ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَبِوَضْعِ حَدٍّ فَاصِلٍ وَاضِحٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ/ ٦-٥-٢٠١٦م.

- وَبِالتَّحْذِيرِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْأَعْدَاءِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

- وَبِالتَّحْذِيرِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَشْبَاهِهِمْ، الَّذِينَ يَسْعَوْنَ دَوْمًا لِبَثِّ الْإِشَاعَاتِ الَّتِي تُفَتِّتُ الصُّفُوفَ، وَتُفَرِّقُ الْمُؤْمِنِينَ، وَتُبْعِدُهُمْ عَنْ هَدَفِهِمْ، وَتَفُتُّ فِي أَعْضَادِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

- وَبِالتَّحْذِيرِ مِنْ تَرْدِيدِ الْإِشَاعَاتِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ أَوْ وَعْيٍ وَإِحَاطَةٍ بِأَبْعَادِهَا وَأَهْدَافِهَا: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٥ - ١٧].

*** سُبُلٌ نَبَوِيَّةٌ لِمُقَاوَمَةِ الْإِشَاعَةِ:**

كَيْفَ تَعَامَلَ الرَّسُولُ ﷺ مَعَ الْإِشَاعَةِ؟

تَعَامَلَ الرَّسُولُ ﷺ مَعَ الْإِشَاعَةِ بِبَثِّ الثِّقَةِ وَالْأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ بِنَصْرِ اللهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَسْدِيدِهِ مَهْمَا كَانَتِ الْأَحْوَالُ، كَمَا فَعَلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَدًّا عَلَىٰ الشَّائِعَاتِ الْمُرْجِفَةِ الَّتِي كَانَ يُطْلِقُهَا الْمُنَافِقُونَ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

وَعَامَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِشَاعَةَ بِاسْتِنْفَارِ الطَّاقَاتِ، وَتَجْمِيعِ الْقُوَىٰ وَالْإِمْكَانَاتِ حَوْلَ هَدَفٍ وَاحِدٍ مُحَدَّدٍ، مَعَ السُّرْعَةِ فِي اتِّخَاذِ الْإِجْرَاءَاتِ بَعْدَ أَيِّ إِشَاعَةٍ، وَقَبْلَ أَنْ تَفْعَلَ فِعْلَهَا الْمُدَمِّرَ فِي الصَّفِّ الْمُسْلِمِ.

فَكَانَ ﷺ يُوَجِّهُ حَالَاتِ الِاسْتِفْزَازِ وَالِاحْتِقَانِ نَحْوَ الْإِيجَابِيَّةِ وَالِاسْتِثْمَارِ الْأَمْثَلِ، قَبْلَ أَنْ تَتَوَجَّهَ بِشَكْلٍ ارْتِجَالِيٍّ عَشْوَائِيٍّ نَحْوَ أَهْدَافٍ أُخْرَىٰ غَيْرِ مَحْسُوبَةِ النَّتَائِجِ؛ كَمَا حَصَلَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ بَعْدَ أَنْ سَرَتْ إِشَاعَةٌ تُفِيدُ بِأَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ بِمَكَّةَ -قَتَلَتْهُ قُرَيْشٌ-.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ الَّتِي كَانَتْ بَيْعَةً عَلَىٰ الْمَوْتِ، فَوَجَّهَ بِذَلِكَ الطَّاقَاتِ، وَرَفَعَ مِنَ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَاسْتَثْمَرَهَا بِشَكْلٍ مُنَظَّمٍ وَهَادِفٍ(١).

---

(١) أخرج الْبُخَارِيّ في «صحيحه» (رَقْم ٣٦٩٨ و٤٠٦٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنه لما سئل عن تَغَيُّبِ عثمان رضي الله عنه عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فقال: إِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**» فَضَرَبَ بِهَا عَلَىٰ يَدِهِ، فَقَالَ «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**».

ولما سُئِلَ سَلَمَةُ بْن الأَكْوَعِ رضي الله عنه: عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ؟ قَالَ: «**عَلَىٰ المَوْتِ**»، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ (رَقْم٤١٦٩)، ومسلم (رَقْم١٨٦٠).

=

وَعَامَلَ الشَّائِعَاتِ بِإِشْغَالِ النَّاسِ بِأَمْرٍ مُفِيدٍ رَيْثَمَا تَتَهَيَّأُ الْأَحْوَالُ لِوَضْعِ الْحُلُولِ الْمُنَاسَبَةِ لِبَعْضِ الْإِشَاعَاتِ الَّتِي قَدْ تَشْغَلُ الْمُجْتَمَعَ، وَتُحَاوِلُ تَفْتِيتَهُ، كَمَا حَصَلَ بَعْدَ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ عِنْدَمَا أَطْلَقَ زَعِيمُ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ إِشَاعَتَهُ وَفِرْيَتَهُ الَّتِي بَدَأَتْ تَسْرِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ إِذْ قَالَ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

فَمَشَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَمْسَىٰ وَلَيْلَتَهُمْ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ ﷺ؛ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ -مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ-(١).

=

وأخرج أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٤، رَقْم١٨٩١٠)، بإسناد صحيح، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، قَالَا: دَعَا رسولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ؛ لِيَبْعَثَهُ إِلَىٰ مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَعَثَهُ إِلَىٰ قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ: أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّىٰ أَتَىٰ مَكَّةَ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّىٰ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ، فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّىٰ يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ.

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩٢)، وأَخْرَجَهُ أَيْضًا الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٦-٤٠٧)، من طريق: ابن إسحاق، بإسناده، مرسلا.

تُعَامَلُ الشَّائِعَاتُ بِمَنْعِ إِطْلَاقِهَا أَوِ الْمُشَارَكَةِ فِي نَشْرِهَا حَتَّىٰ لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً؛ دَرْءًا لِخَلْخَلَةِ الْمُجْتَمَعِ وَالصَّفِّ الْمُسْلِمِ أَوِ التَّأْثِيرِ عَلَىٰ الرُّوحِ الْمَعْنَوِيَّةِ كَمَا حَصَلَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ﷺ.

فَقَالَ -وَائِدًا لِتِلْكَ الشَّائِعَةِ فِي مَهْدِهَا-: «**لَا تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ**»؛ يَعْنِي: لَا تَتَكَلَّمُوا فِي هَذَا(١). (*).

* **وَتُعَامَلُ الشَّائِعَاتُ بِالصَّمْتِ، وَعَدَمِ الْخَوْضِ فِيهَا**: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢).

فَالْإِنْسَانُ لَا يَخْسَرُ بِالسُّكُوتِ شَيْئًا، كَمَا يَخْسَرُ حِينَ يَخُوضُ فِيمَا لَا يُحْسِنُهُ أَوْ يَتَدَخَّلُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

وَفِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»(٣): عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**لَا تَكُونُوا عُجُلًا، مَذَابِيعَ، بُذْرًا؛**

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢١-٢٢٢)، وأَخْرَجَهُ أَيْضًا الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٧-٢١٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٢٩)، من طريق: ابن إسحاق، بإسناده، مرسلا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ/ ٦-٥-٢٠١٦م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صحيحه» (رَقْم ٦٠١٨) ومَوَاضِعَ، ومُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٤٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا من رواية: أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «الأدب المفرد» للبخاري (رَقْم ٣٢٧)، وأَخْرَجَهُ أَيْضًا العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٣، تَرْجَمَة: كُدَيْرٌ الضَّبِّيُّ:١٥٦٨)، والدِّينَوَرِيُّ فِي «المجالسة وجواهر العلم» (٣/ رَقْم٩٠٣)، =

فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ بَلَاءً مُبَرِّحًا مُبْلِحًا، وَأُمُورًا مُتَمَاحِلَةً رُدُحًا». وَهُوَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

«**لَا تَكُونُوا عُجُلًا**»: جَمْعُ عَجُولٍ، لَا تَكُنْ عَجُولًا، كُنْ حَلِيمًا ذَا أَنَاةٍ، كُنْ وَرِعًا مُتَثَبِّتًا، وَالْعَجَلَةُ دَاءٌ عَظِيمٌ، وَالْمُؤْمِنُ ذُو تَثَبُّتٍ وَأَنَاةٍ.

«**لَا تَكُونُوا عُجُلًا مَذَايِيعَ**»: مَذَايِيعَ: جَمْعُ مِذْيَاعٍ، وَهُوَ الْمُبَالِغُ فِي نَشْرِ الْأَخْبَارِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُشِيعُونَ الْفَاحِشَةَ.

وَمَذَايِيعُ: بِنَاءُ مُبَالَغَةٍ، كُلَّمَا سَمِعَ كَلَامًا رَدَّدَهُ وَبَثَّهُ وَأَذَاعَهُ.

«**بُذْرًا**»: جَمْعُ بَذُورٍ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْتُمَ سِرَّهُ، يَعْنِي الْمُفْشِينَ لِلْأَسْرَارِ، يُقَالُ: بَذَرْتُ الْكَلَامَ بَيْنَ النَّاسِ، أَيْ: أَفْشَيْتَهُ وَفَرَّقْتَهُ.

«**مُبرِّحًا**»: مِنَ الْبَرَحِ، وَهُوَ الشِّدَّةُ وَالشَّرُّ، وَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ، وَالْمَشَقَّةُ.

«**بَلَاءً مُبَرِّحًا**»: أَيْ شَدِيدًا بَاقِيًا.

«**مُبلِحًا**»: مِنْ بَلَحَ الرَّجُلُ بُلُوحًا إِذَا أَعْيَاهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: «**مُكْلِحًا**»: أَيْ يَكْلَحُ النَّاسَ؛ لِشِدَّتِهِ، وَالْكُلُوحُ: الْعُبُوسُ.

«**وَأُمُورًا مُتَمَاحِلَةً**»: أَيْ فِتَنًا طَوِيلَةَ الْمَدَى، وَالْمُتَمَاحِلُ مِنَ الرِّجَالِ: الطَّوِيلُ.

=

مختصرا، والأثر صحح إسناده الْأَلْبَانِيّ في «صحيح الأدب المفرد» (رَقْم٢٥٠)، وله شاهد من قول ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه، بلفظ: «**قُولُوا خَيْرًا تُعْرَفُوا بِهِ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا تَكُونُوا عُجُلًا مَذَايِيعَ بَذْرًا**»، وإسناده صحيح أَيْضًا.

«**رُدُحًا**»: جَمْعُ رَدَاحٍ، وَهُوَ الْجَمَلُ الْمُثْقَلُ حِمْلًا، يُرِيدُ الْفِتَنَ الثَّقِيلَةَ الْعَظِيمَةَ.

أَيْ: لَا تَسْتَعْجِلُوا فِي إِذَاعَةِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَخْبَارِ وَالْفَوَاحِشِ، وَلَا تُفْشُوا الْأَسْرَارَ، فَهُنَاكَ بَلَاءٌ شَدِيدٌ شَاقٌّ يَنْتَظِرُكُمْ، وَفِتَنٌ ثَقِيلَةٌ تَتَرَقَّبُكُمْ، فَلَا تُسْهِمُوا فِي صُنْعِ الْفِتَنِ وَالرَّزَايَا.

فَحَذَارِ أَنْ تَكُونُوا عَيَّابِينَ بِإِشَاعَةِ وَإِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ؛ لِأَنَّهُ يَصْعُبُ الرُّجُوعُ عَنْهَا، وَلَا تَزْدَادُ الْفِتَنُ بِهَا إِلَّا تَوَقُّدًا وَشِدَّةً.

وَفِي الْأَثَرِ: النَّهْيُ عَنْ إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ، وَإِفْشَاءِ أَسْرَارِ النَّاسِ، فَإِذَا ذَكَرْتَ عُيُوبَ النَّاسِ وَأَشَعْتَ الْفَاحِشَةَ، وَكُنْتَ عَجُولًا لَا تَتَثَبَّتُ، فَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ وَرَائِكَ بَلَاءً مُبَرِّحًا مُبْلِحًا، وَأُمُورًا مُتَمَاحِلَةً رُدُحًا، وَسَتَأْتِي فِتَنٌ عَظِيمَةٌ ثَقِيلَةٌ -نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ-.

وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَثَبَّتَ؛ لِأَنَّ عَامَّةَ مَا يُقَالُ فِي زَمَانِ الْفِتَنِ لَا أَصْلَ لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْمُخْتَلَقَاتِ مِنَ التُّرَّهَاتِ.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مُتَوَقِّيًا، فَلَا يُصَدِّقُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ، فَمَا أَكْثَرَ الْكَذِبِ فِي النَّاسِ!

وَمَا أَحْرَىٰ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيَّامِ الْفِتَنِ بِالْتِزَامِ هَذَا النَّهْجِ الشَّرِيفِ، الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ رضي الله عنه، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ مُقْتَبَسٌ!

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَثَبَّتَ، وَلَا يَقُولَ وَلَا يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(١).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «مُقَدِّمَةِ الصَّحِيحِ»، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ».

«وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُشِيعُونَ كُلَّ مَا يَسْمَعُونَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَدُورُونَ بِهِ عَلَىٰ الْمُجْتَمَعَاتِ وَالنَّوَادِي، بَلْ إِنَّهُ لَيْسَ شَرْطًا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ قَدْ غُنُوا عَنْ بَذْلِ الْمَجْهُودِ فِي ذَلِكَ فِي هَذَا الْعَصْرِ؛ لِمَا سَبَقَتِ الشِّقْوَةُ عَلَيْهِمْ.

فَإِنَّ الْوَاحِدَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي خَلْوَتِهِ مُخَاطِبًا الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَيَنْشُرُ الْأَكَاذِيبَ، وَيُشِيعُ الْفَاحِشَةَ فِي الدُّنْيَا بِأَرْجَائِهَا عَنْ طَرِيقِ الْوَسَائِلِ الْحَدِيثَةِ فِي الْمَعْلُومَاتِ وَالِاتِّصَالَاتِ»(٢).

*** سُبُلُ مُعَالَجَةِ الصَّحَابَةِ ﷺ وَالصَّالِحِينَ لِلْإِشَاعَةِ:**

الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالْأَخْيَارِ مِنْ بَعْدِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ تَعَامَلُوا مَعَ الْإِشَاعَةِ بِالْإِيمَانِ الْقَوِيِّ الَّذِي لَا يُمْكِنُ زَعْزَعَتُهُ، وَبِأَنَّ الْعَلَاقَةَ مَعَ اللهِ تَفُوقُ كُلَّ عَلَاقَةٍ، وَأَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ هُوَ الْأَصْلُ وَالْأَسَاسُ: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣].

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) شرح شيخنا الدكتور أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان علىٰ «الأدب المفرد» (٢/ ١٤٥٩-١٤٦٣).

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وَعَامَلَ الصَّحَابَةُ وَالْأَخْيَارُ مِنْ بَعْدِهِمُ الشَّائِعَاتِ بِالتَّمَاسُكِ وَالتَّلَاحُمِ، وَالثِّقَةِ غَيْرِ الْمَحْدُودَةِ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبِإِخْوَانِهِمْ، وَبِقَادَتِهِمْ، وَرُؤَسَائِهِمْ، وَبِالْوَعْيِ التَّامِّ لِلْمُخَطَّطَاتِ -مُخَطَّطَاتِ الْعَدُوِّ وَالْمُرْجِفِينَ-، وَبِمُحَاكَمَةِ الْإِشَاعَاتِ بِمَوْضُوعِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ وَمَنْطَقٍ سَلِيمٍ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي «السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ»(١) بَعْدَ خَبَرِ الْإِفْكِ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ رضي الله عنه، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ رضي الله عنها: «يَا أَبَا أَيُّوبَ؛ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟».

قَالَ: «بَلَىٰ، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْتِ أَنْتِ يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً؟».

قَالَتْ: «لَا، وَاللهِ، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ».

قَالَ: «فَعَائِشَةُ، وَاللهِ خَيْرٌ مِنْكِ»(٢).

انْظُرْ كَيْفَ فَنَّدَ هَذِهِ الْفِرْيَةَ بِهَذَا الْمَنْطِقِ السَّدِيدِ رضي الله عنه.(*).

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٠٢)، وأَخْرَجَهُ أَيْضًا إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٣/ رَقْم١٦٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٥٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤٨-٤٩، تَرْجَمَة١٨٧٦)، من طريق: ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النَّجَّارِ: أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ: أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟...فذكره.

(٢) «التأصيل الشرعي لترويج الإشاعات» (ص١٢-١٨) بتصرف واختصار.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ/ ٦-٥-٢٠١٦م.

فَيَجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَثَبَّتَ مِنَ الْأَخْبَارِ الشَّائِعَةِ، وَأَلَّا يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَأَنْ يَرُدَّهَا إِلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**كَيْفَ بِكُمْ بِزَمَانٍ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، وَتَبْقَىٰ حُثَالَةٌ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ**، -أَيْ: اختَلَطَتْ وَفَسَدَتْ- **وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا وَكَانُوا هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**».

قَالُوا: كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ**»(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَالْأَخْبَارُ الَّتِي تُنْقَلُ عَبْرَ كَثِيرٍ مِنَ الصُّحُفِ وَالْمَجَلَّاتِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَوَسَائِلِ الِاتِّصَالِ لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَصَادِرَ لَيْسَتْ مَحَلَّ ثِقَةٍ، وَأَيْضًا غَالِبُ الْكُتَّابِ عِنْدَهُمْ أَفْكَارٌ دَخِيلَةٌ وَاتِّجَاهَاتٌ مُنْحَرِفَةٌ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ جَلَّوَعَلَا.

فَالْأَخْطَاءُ الَّتِي يَتَحَدَّثُ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ فُلَانٍ الْمَعْرُوفِ؛ تُقْبَلُ مِنْهُمْ مَا لَمْ تُعَارَضْ بِأَقْوَىٰ مِنْهَا، وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَثْبُتْ ثِقَتُهُ فَلَا بُدَّ مِنْ تَمحِيصِ خَبَرِهِ، وَالتَّحَرِّي فِيهِ بِمَا يُؤَدِّي إِلَىٰ قَبُولِ خَبَرِهِ أَوْ رَدِّهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السنن» (رَقْم ٤٣٤٢ و٤٣٤٣)، وابن ماجه في «السنن» (رَقْم ٣٩٥٧)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصحح إسناده الْأَلْبَانِيّ في «الصحيحة» (١/ رَقْم٢٠٥)، والْحَدِيث أصله في «صحيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم٤٧٨) مُخْتصرًا.

وَهَذِهِ الضَّوَابِطُ تَقصِمُ ظُهُورَ الْمُرَوِّجِينَ لِلْفِتَنِ، الْمُذِيعِينَ لِلشَّائِعَاتِ، السَّاعِينَ فِي الْفُرْقَةِ، فَتَسُدُّ عَلَيْهِمُ الطُّرُقَ، وَتُغْلِقُ دُونَهُمُ الْأَبْوَابَ، وَتُفَوِّتُ عَلَيْهِمُ الْفُرَصَ الَّتِي يَنْتَظِرونَهَا، وَالِالْتِزَامُ بِتِلْكَ الضَّوَابِطِ شَاقٌّ جِدًّا إِلَّا عَلَىٰ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ وَثَبَّتَهُ.

والشَّائِعَاتُ إِذَا حُوصِرَتْ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ(١)؛ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تُتَفَادَىٰ آثَارُهَا السَّيِّئَةُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَيْهَا، وَلِكِنْ لَيْسَ الْإِشْكَالُ فِي هَذَا، بَلِ الْإِشْكَالُ أَنَّ هُنَاكَ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْبَلُونَ أَنْ يَسْتَمِعُوا لِمِثْلِ هَذِهِ الشَّائِعَاتِ.

هَذَا فَضْلًا عَنْ فَرِيقٍ مِنْ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ الَّتِي تُحِبُّ الْبَحْثَ وَنَشْرَ مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ ذَلِكَ بِقَولِهِ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]: أَيْ: لِلْمُنَافِقِينَ الْمُغْرِضِينَ، هَذَا هُوَ الدَّاءُ الْكَبِيرُ، وَهُوَ أَنْ يَرْضَىٰ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ الِاسْتِمَاعَ إِلَىٰ مِثْلِ تِلْكَ الشَّائِعَاتِ، وَإِلَىٰ كَلَامِ الْمُنافِقِينَ وَالْمُغْرِضِينَ.

---

(١) أي: الأمورُ التي ينبغِي عَلَىٰ المُسْلِم عِندَ سَماعِهِ مِثل هَذِه الإشاعاتِ، وَهِيَ:

١- أنْ يُقدمَ حسنَ الظنِّ بأخيهِ المُسْلِم.

٢- أنْ يَطلبَ الدَّليلَ الخارجيَّ البرهانيَّ.

٣- أنْ لَا يتحدثَ بما سمعَهُ ولا ينشرَهُ.

٤- أنْ يردَّ الأَمرَ إلىٰ أولِي الأمرِ وأَهلِ العلمِ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللهُ[١]: «فَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَوْ خَرَجُوا فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ مَا زَادُوهُمْ إِلَّا خَبَالًا، وَلَكَانُوا يَسْعَوْنَ بَيْنَهُمْ مُسْرِعِينَ، يَطْلُبُونَ لَهُمُ الْفِتْنَةَ، وَفِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ، إِمَّا لِظَنٍّ مُخْطِئٍ، أَوْ لِنَوْعٍ مِنَ الْهَوَىٰ أَوْ لِمَجْمُوعِهِمَا».

لِذَلِكَ فَعَدَمُ سَمَاعِ مَا يَقولُهُ الْكَذَّابُونَ وَالْمُنَافِقُونَ، وَالْمُغتَابُونَ وَالْمُفتَرُونَ، وَأَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ، وَعَدَمُ الرِّضَا بِذَلِكَ؛ هُوَ مَنْهَجُ السَّلَفِ -رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ-.

وَالْفِتْنَةُ إِذَا وَقَعَتْ عَجَزَ الْعُقَلَاءُ فِيهَا عَنْ دَفْعِ السُّفَهَاءِ، فَصَارَ الْأَكَابِرُ عَاجِزِينَ عَنْ إِطْفَاءِ الْفِتْنَةِ، وَكَفِّ أَهْلِهَا، وَهَذَا شَأْنُ الْفِتَنِ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: ٢٥]، وَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ التَّلَوُّثِ بِهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا»[٢]. (*).

❀❀❀

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١٠٥).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٣٤٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «حَرْبُ الشَّائِعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ رَجَب ١٤٣٧هـ/ ٢٩-٤-٢٠١٦م.

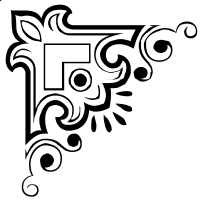

حُكْمُ الشَّائِعَاتِ فِي الْإِسْلَامِ(١)

إِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ حَرَّمَ إِشَاعَةَ أَسْرَارِ الْمُسْلِمِينَ وَأُمُورِهِمُ الدَّاخِلِيَّةِ مِمَّا يَمَسُّ أَمْنَهُمْ وَاسْتِقْرَارَهُمْ؛ حَتَّىٰ لَا يَعْلَمَ الْأَعْدَاءُ مَوَاضِعَ الضَّعْفِ فِيهِمْ، فَيَسْتَغِلُّوهَا، أَوْ قُوَّتَهُمْ فَيَتَحَصَّنُوا مِنْهُمْ.

الْإِسْلَامُ يُحَرِّمُ إِشَاعَةَ مَا يَمَسُّ أَعْرَاضَ النَّاسِ وَأَسْرَارَهُمُ الْخَاصَّةَ.

قَالَ تَعَالَىٰ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

هَذَا هُوَ الْحُكْمُ الْأُخْرَوِيُّ.

وَبِالنِّسْبَةِ لِلْحُكْمِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَىٰ الشَّائِعَةِ الْكَاذِبَةِ؛ فَهُوَ حَدُّ الْقَذْفِ إِنْ تَوَفَّرَتْ شُرُوطُهُ، وَإِلَّا فَالتَّعْذِيرُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟

(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٣/ ٨٠-٨١) و(٢٦/ ٢٨٩)، ومقال «خطر الشائعات علىٰ الفرد والمجتمع».

﴿لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وَمُطلِقُوا الشَّائِعَاتِ سَمَّاهُمُ الْقُرْآنُ مُرْجِفِينَ، وَالْإِرْجَافُ فِي اللُّغَةِ: الِاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَىٰ الْخَوْضِ فِي الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ وَذِكْرِ الْفِتَنِ؛ لِأَنَّهُ يَنْشَأُ عَنْهُ اضْطِرَابٌ بَيْنَ النَّاسِ.

وَالْإِرْجَافُ حَرَامٌ، وَتَرْكُهُ وَاجِبٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَفَاعِلُهُ يَسْتَحِقُّ التَّعزِيرُ.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠- ٦١].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ(١): «﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لَنُسَلِّطَنَّكَ عَلَيْهِمْ؛ فَلَتَسْتَأْصِلَنَّهُمْ بِالْقَتْلِ».

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٤٦).

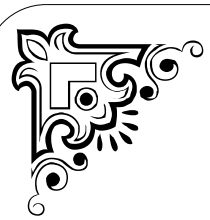

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ مُرَوِّجِي الشَّائِعَاتِ

إِنَّ مُرَوِّجَ الشَّائِعَةِ عُضْوٌ فَاسِدٌ، يَسْرِي فَسَادُهُ فِي الْمُجْتَمَعِ سَرَيَانَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، يَتَلَوَّنُ كَالْحِرْبَاءِ، وَيَنْفُثُ سُمُومَهُ كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ، دَيْدَنُهُ الْإِفْسَادُ وَالْهَمْزُ، وَسُلُوكُهُ الشَّرُّ وَاللَّمْزُ، وَعَادَتُهُ الْخُبْثُ وَالْغَمْزُ.

مُرَوِّجُ الشَّائِعَةِ لَئِيمُ الطَّبْعِ، دَنِيءُ الْهِمَّةِ، مَرِيضُ النَّفْسِ، مُنْحَرِفُ التَّفْكِيرِ، صَفِيقُ الْوَجْهِ، عَدِيمُ الْمُرُوءَةِ، ضَعِيفُ الدِّيَانَةِ، يَتَقَاطَرُ خِسَّةً وَدَنَاءَةً، قَدْ تَرَسَّبَ الْغِلُّ فِي أَحْشَائِهِ، فَلَا يَسْتَرِيحُ حَتَّىٰ يُرْغِيَ وَيُزْبِدَ، وَيُفْسِدَ وَيُؤْذِيَ، فَتَّانٌ فَتَّاكٌ، سَاعٍ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

الشَّائِعَاتُ جَرِيمَةٌ ضِدُّ أَمْنِ الْمُجْتَمَعِ، وَصَاحِبُهَا مُجْرِمٌ فِي حَقِّ دِينِهِ وَمُجْتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ، مُثِيرٌ لِلْاضْطِرَابِ وَالْفَوْضَىٰ فِي الْأُمَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ شَرًّا مِنْ مُرَوِّجِ الْمُخَدِّرَاتِ، كِلَاهُمَا -أَعْنِي: مُرَوِّجَ الشَّائِعَاتِ وَمُرَوِّجَ الْمُخَدِّرَاتِ- يَسْتَهْدِفُ الْإِنْسَانَ، لَكِنَّ الِاسْتِهْدَافَ الْمَعْنَوِيَّ بِالشَّائِعَاتِ أَخْطَرُ وَأَعْتَىٰ.

وَإِنَّكَ لَتَأْسَفُ أَشَدَّ الْأَسَفِ مِمَّنْ يَتَلَقَّىٰ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةَ عَلَىٰ أَنَّهَا حَقَائِقُ مُسَلَّمَةٌ؛ فَيُلَطِّخُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ مِنَ الشَّائِعَاتِ الْبَاطِلَةِ.

لَقَدْ عَدَّ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ سُلُوكًا مَرْذُولًا، مُنَافِيًا لِلْأَخْلَاقِ النَّبِيلَةِ، وَالسَّجَايَا الْكَرِيمَةِ، وَالْمُثُلِ الْعُلْيَا الَّتِي جَاءَ بِهَا وَالَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا مِنْ الِاجْتِمَاعِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْإِخَاءِ، وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ وَالصَّفَاءِ، وَهَلِ الشَّائِعَةُ إِلَّا نَسْفٌ لِتِلْكَ الْقِيَمِ، وَمِعْوَلُ هَدْمٍ لِهَذِهِ الْمُثُلِ؟!!

مَا اسْتُبِيحَ دَمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ إِلَّا بِالشَّائِعَاتِ، الَّتِي حَمَلَتِ الْكَذِبَ وَالِافْتِرَاءَ وَالطَّعْنَ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَىٰ أَمْثَالٍ كَثِيرَةٍ تُضَمُّ إِلَىٰ هَذَا الْمَثَلِ.

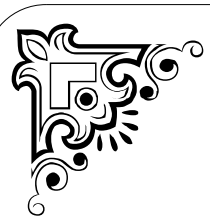
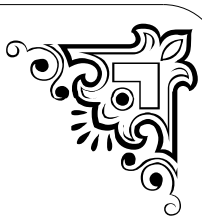

تَحْذِيرُ الْإِسْلَامِ
مِنْ وَسَائِلِ الشَّائِعَاتِ كَالْغِيبَةِ وَالْكَذِبِ

لَقَدْ حَذَّرَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْغِيبَةِ وَالْوَقِيعَةِ فِي الْأَعْرَاضِ، وَمِنَ الْكَذِبِ وَالْبُهتَانِ وَالنَّمِيمَةِ، وَهَلِ الشَّائِعَةُ إِلَّا كَذَلِكَ؟!!

وَأَمَرَ الْإِسْلَامُ بِحِفْظِ اللِّسَانِ، وَأَظْهَرَ خُطُورَةَ الْكَلِمَةِ، وَحَرَّمَ الْقَذْفَ وَالْإِفْكَ، وَتَوَعَّدَ مُحِبِّي رَوَاجِ الشَّائِعَاتِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُقَدِّمَ حُسْنَ الظَّنِّ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

وَالشَّائِعَاتُ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ سُوءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا»(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ: **«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخوَانًا»**.

---

(١) «صحيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم ٦٠٦٦) ومَوَاضِعَ، و«صحيح مُسْلِم» (رَقْم ٢٥٦٣).

لَقَدْ حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ التَّثَبُّتِ وَالتَّبَيُّنِ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ، وَأَنْ يَطْلُبَ الْمُسْلِمُ الدَّلِيلَ الْبُرهَانِيَّ عَلَىٰ أَيِّ خَبَرٍ يَسمَعُهُ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ جَلَّوَعَلَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ أَمَامَ اللهِ ﷻ، وَمُحَاسَبٌ عَلَىٰ كُلِّ صَغِيرٍ وَجَلِيلٍ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٨].

نَهَىٰ الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يُطْلِقُوا الْكَلَامَ عَلَىٰ عَوَاهِنِهِ، وَيُلْغُوا عُقُولَهُمْ عِنْدَ كُلِّ كَلَامٍ وَشَائِعَةٍ، وَيُجَانِبُوا تَفْكِيرَهُمْ عِنْدَ كُلِّ ذَائِعَةٍ.

وَنَهَاهُمْ أَنْ يَنْسَاقُوا وَرَاءَ كُلِّ نَاعِقٍ، نَهَاهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوا كُلَّ دَاعٍ مَارِقٍ.

عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي عَوَاقِبِ الْإِشَاعَةِ، وَأَنْ يَعُودَ مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّاتٍ إِلَىٰ آيَةِ سُورَةِ الْحُجُرَاتِ: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

كُلُّ خَبَرٍ يَنْشُرُهُ الْإِنْسَانُ مِمَّا يُثِيرُ الْفِتْنَةَ أَوِ الْغَوْغَاءَ، أَوْ يُثِيرُ التَّسَخُّطَ، أَوْ يُسَبِّبُ شَتْمًا أَوْ أَذِيَّةً لِأَيِّ إِنسَانٍ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، أَوْ يُنَبِّهُ بَعْضَ النَّاسِ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ كَانُوا عَنْهُ غَافِلِينَ، لَا يَجُوزُ نَشْرُهُ، وَنَاشِرُهُ آثِمٌ، يَحْمِلُ إِثْمَ كُلِّ مَا تَسَبَّبَ بِهِ خَبَرُهُ.

وَاللهُ تَعَالَىٰ ذَمَّ كُلَّ نَاشِرٍ لِلْأَخْبَارِ الَّتِي تُزَعْزِعُ أَمْنَ النَّاسِ، وَتُثِيرُ الْخَوْفَ وَتَدْعُو إِلَىٰ الْفَوْضَىٰ فِي الْمُجْتَمَعِ؛ لِأَنَّ السُّوقَةَ وَعَامَّةَ النَّاسِ لَا يَصْلُحُونَ لِمِثْلِ

هَذِهِ الْأُمُورِ، وَلَا لِأُمُورِ السِّيَاسَةِ، وَلَيْسَ لِعَامَّةِ النَّاسِ أَنْ يَلُوكُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِسِيَاسَةِ وُلَاةِ الْأُمُورِ.

السِّيَاسَةُ لَهَا نَاسُهَا، وَلَوْ أَنَّ السِّيَاسَةَ صَارَتْ تُلَاكُ بَيْنَ أَلْسُنِ عَامَّةِ النَّاسِ لَفَسَدَتِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْعَامِّيَّ لَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ عَقْلٌ.

الْعَامَّةُ لَيْسُوا كَأُولِي الْأَمْرِ، وَأُولِي الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ، فَلَيْسَ الْكَلَامُ فِي السِّيَاسَةِ مِنَ الْمَجَالَاتِ الْعَامَّةِ الَّتِي يَتَكَلَّمُ فِيهَا أَفْرَادُ الْمُجْتَمَعِ جَمِيعًا!!

مَنْ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ الْعَامَّةُ مُشَارِكَةً لِوُلَاةِ الْأُمُور فِي سِيَاسَاتِهَا وَفِي رَأْيِهَا وَفِكْرِهَا؛ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، وَخَرَجَ عَن هَدْيِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.

هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مُذِيعًا، كُلَّمَا سَمِعَ عَنْ خَبَرٍ مِنْ خَوْفٍ أَوْ أَمْنٍ أَذَاعَهُ، بَلْ قَد يَكُونُ مِنَ الْخَيْرِ أَنْ يَكْتُمَ هَذَا الْخَبَرَ الَّذِي حَصَلَ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَنَا بِحِفْظِ مَنْطِقِنَا وَبِحِفْظِ أَلْسِنَتِنَا؛ لِأَنَّ إِذَاعَةَ الْأَخْبَارِ وَالشَّائِعَاتِ بَيْنَ صُفُوفِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا يَعْنِيهِمُ الْخَبَرُ أَوَّلًا، ثُمَّ يُشَارِكُونَ فِيهِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ مِنَ الْخُبَرَاءِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمِصْرِيِّ!!

عِنْدَنَا تِسْعُونَ مِلْيُونًا مِنَ الْمُحَلِّلِينَ الِاسْتِرَاتِيجِيِّينَ، وَالسِّيَاسِيِّينَ، وَالْعَسْكَرِيِّينَ، وَالِاقْتِصَادِيِّينَ، وَالْأَمْنِيِّينَ، وَالِاجْتِمَاعِيِّينَ!

كُلُّ مِصْرِيٍّ صَارَ مُحَلِّلًا -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ-!!

أَمْسِكْ لِسَانَكَ...

اتَّقِ اللهَ رَبَّكَ، خَفْ عَلَىٰ بَلَدِكَ..

أَمْسِكُوا أَلْسِنَتَكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللهُ..

أَقْبِلُوا عَلَىٰ شَأْنِكُمْ..

ابْذُلُوا الْمَجْهُودَ؛ لِرِفْعَةِ وَطَنِكُمْ، وَالْحِفَاظِ عَلَيْهِ، إِنَّهُ يُغَرَّبُ!!

وَطَنُكُمْ يُغَرَّبُ!! يُقْصَدُ مَحْوُ هُوِيَّتِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مَحْوُهَا تَمَامًا؛ لِكَيْ يَكُونَ مُجْتَمَعًا جَدِيدًا عَلَىٰ نِظَامٍ جَدِيدٍ، يَتْبَعُ لِلنِّظَامِ الْعَالَمِيِّ الْجَدِيدِ!!

أَلَا تَنْتَبِهُونَ؟!!

وَيْحَكُمْ أَلَا تُبْصِرُونَ؟!!

مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ وَلَا تُبْصِرُونَ؟!!

اتَّقُوا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّمَ مُجْتَمَعَنَا وَجَمِيعَ مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ بِقَاعِ الْأَرْضِ، إِنَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ علَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِين.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِشَاعَاتُ وَهَدْمُ الْمُجْتَمَعَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٢٩ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ/ ٦-٥-٢٠١٦م.

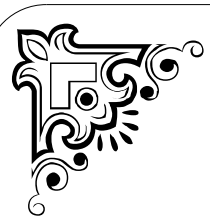

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

الْإِحْسَانُ هُوَ أَسَاسُ الْعَلَاقَاتِ فِي الْإِسْلَامِ ٤

الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْأَيْتَامِ وَرِعَايَتُهُمْ ٦

الْحَثُّ عَلَىٰ رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٨

رِعَايَةُ اللهِ لِيَتَامَىٰ مِنْ خَيْرِ الْبَشَرِ ١٠

فَضَائِلُ رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ وَالْحَثُّ عَلَيْهَا فِي السُّنَّةِ ١٢

* مِنْ فَضَائِلِ رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ: أَنَّ كَافِلَهُمْ وَالسَّاعِي عَلَيْهِمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّاتِ ١٢

* السَّاعِي عَلَىٰ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ -وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْأَيْتَامُ- كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ١٣

ضَوَابِطُ تَرْبِيَةِ الْيَتِيمِ وَتَأْدِيبِهِ ١٨

* عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ ١٨

* عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يُعَامِلَ الْيَتِيمَ وَيَرْعَاهُ كَمَا يَرْعَىٰ وَلَدَهُ ١٩
* ضَوَابِطُ يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهَا عِنْدَ تَأْدِيبِ الْيَتِيمِ..... ٢١
* وِقَايَةُ الْأَيْتَامِ النَّارَ كَالْأَبْنَاءِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ ٢٣
* عَلِّمُوا الْأَيْتَامَ أُصُولَ الِاعْتِقَادِ كَتَعْلِيمِكُمْ أَبْنَائِكُمْ..... ٢٤
* عَلِّمُوا الْيَتَامَىٰ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ..... ٢٦
اسْتِحْبَابُ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَالدُّعَاءِ لَهُ..... ٣٢
أَفْضَلُ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَاتِ عَلَىٰ الْأَيْتَامِ وَالْمَسَاكِينِ..... ٣٤
التَّحْذِيرُ مِنْ إِيذَاءِ الْيَتِيمِ وَقَهْرِهِ..... ٣٨
التَّحْذِيرُ مِنْ أَكْلِ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ..... ٤٠
رِعَايَةُ الْأَيْتَامِ وَاجِبٌ مُجْتَمَعِيٌّ..... ٤٣
* الْمُسْلِمُونَ جَمِيعًا جَسَدٌ وَاحِدٌ..... ٤٣
* مِنْ أَهَمِّ الْحُقُوقِ الَّتِي وَصَّىٰ بِهَا اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ: حُقُوقُ الْيَتَامَىٰ..... ٤٥
جَعَلَ اللهُ فِي الْغَنَائِمِ حَقًّا لِلْيَتَامَىٰ..... ٤٦
صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ الْبِرِّ وَالرِّفْقِ الْمُجْتَمَعِيِّ بِالْيَتَامَىٰ، وَثَمَرَاتُهَا..... ٤٧
رِعَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْيَتِيمِ وَالْكَسِيرِ وَالضَّعِيفِ..... ٤٨

خُطُورَةُ الشَّائِعَاتِ

الشَّائِعَاتُ سِلَاحُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُغْرِضِينَ ٥٣
خُطُورَةُ الْكَذِبَةِ تَبْلُغُ الْآفَاقَ ٥٧
أَخْطَرُ الشَّائِعَاتِ فِي تَارِيخِ الْمُسْلِمِينَ وَآثَارُهَا ٦١
حَادِثَةُ الْإِفْكِ أَخْطَرُ شَائِعَةٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ ٦٤
خُطُورَةُ الشَّائِعَاتِ عَلَىٰ الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ ٧٧
* دَوْرُ الشَّائِعَاتِ الرَّئِيسُ فِي الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ؛ لِهَدْمِ الْمُجْتَمَعَاتِ ٧٧
* أَسَالِيبُ مُهِمَّةٌ لِلْإِشَاعَاتِ فِي الْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ ٨١
* الْإِشَاعَةُ مِنْ أَخْطَرِ الْأَسْلِحَةِ الْمُدَمِّرَةِ لِلْأَشْخَاصِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ ٨٣
* الْأَهْدَافُ الْخَبِيثَةُ لِلْإِشَاعَاتِ ٨٦
حَرْبُ الشَّائِعَاتِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ ٨٧
* الدَّوْرُ الْخَطِيرُ لِلْإِشَاعَاتِ فِي ثَوَرَاتِ الْخَرِيفِ الْعَرَبِيِّ ٨٨
* قَنَاةُ الْجَزِيرَةِ وَالْإِخْوَان مِثَالٌ لِتَرْوِيجِ الشَّائِعَاتِ؛ مِنْ أَجْلِ هَدْمِ كُبْرَىٰ الْحَوَاضِرِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٨٩
نَصِيحَةٌ مُشْفِقٍ لِمُرَوِّجِي الشَّائِعَاتِ فِي هَذَا الْعَصْرِ ٩٢

سُبُلُ مُقَاوَمَةِ الشَّائِعَاتِ شَرْعِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا..... ٩٥

* الْوَسَائِلُ الْعِلْمِيَّةُ، وَالِاجْتِمَاعِيَّةُ لِمُعَالَجَةِ الْإِشَاعَةِ..... ٩٦

* السُّبُلُ الْقُرْآنِيَّةُ لِعِلَاجِ الْإِشَاعَاتِ..... ٩٧

* سُبُلٌ نَبَوِيَّةٌ لِمُقَاوَمَةِ الْإِشَاعَةِ..... ٩٩

* سُبُلُ مُعَالَجَةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وَالصَّالِحِينَ لِلْإِشَاعَةِ..... ١٠٥

حُكْمُ الشَّائِعَاتِ فِي الْإِسْلَامِ..... ١١٠

جُمْلَةٌ مِنْ صِفَاتِ مُرَوِّجِي الشَّائِعَاتِ ١١٢

تَحْذِيرُ الْإِسْلَامِ مِنْ وَسَائِلِ الشَّائِعَاتِ كَالْغِيبَةِ وَالْكَذِبِ..... ١١٤

الْفِهْرِسُ ١١٩